

أجيال
AJIAL
LIVE FOR GREATNESS
عش عظيما
كريم الشاذلي


عِش عظيما



وانصر قضيتك

كريم الشاذلي

اسم الكتاب	عِش عظيما
المؤلف	كريم الشاذلي
تصميم الغلاف	م. عبدالرحمن الزيني
إخراج داخلي	MEDIA POWER 01224326054
مراجعة لغوية	أ. محمود الغنام
الناشر	دار أجيال للنشر والتوزيع www.dar-ajial.com

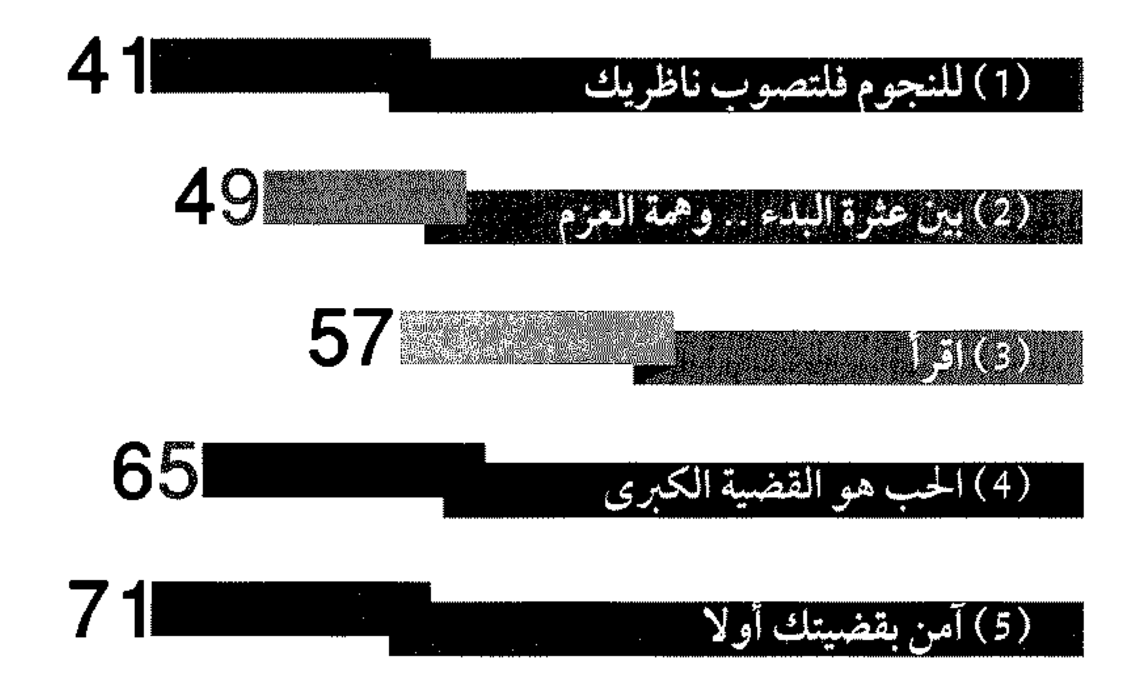
رقم الإيداع	2012/8520
ISBN	978-977-6277-44-1



6 أبراج المهندسين - كورنيش المعادى - القاهرة

محمول : 01224242437(2+)


الكتاب
بوصلة
13 وصية...
11 بحثا عن عظيم..
19 في البدء كانت صرخة!
27 احفظ لنفسك مكانها
38 هدفي... وهدفك
39 عش عظيماً


(1) للنجوم فلتصوب ناظريك 41
(2) بين عثرة البدء .. وهمة العزم 49
(3) اقرأ 57
(4) الحب هو القضية الكبرى 65
(5) آمن بقضيتك أولا 71

إهداء..

إلى من رأوا أن هناك شيئا لا بد أن يتغير..

إلى من سهروا الليالي يفكرون، كيف يمكن أن تكون الحياة بعد مجيئهم أفضل مما كانت قبله..

إلى من صنعوا فارقا.. وتجردوا من حظ أنفسهم؛ كي تكون كلمة الحق هي العليا..




بحثاً عن عظيم..
ما بال الزمان يضنّ علينا برجال ينبهون الناس،
ويرفعون الالتباس، يفكرون بحزم، ويعملون
بعزم، ولا ينفكون حتي ينالوا ما يقصدون. ؟!
عبد الرحمن الكواكبي





وصية..

قديما سمع أحد الحكماء رجلا يقول في مرارة النادم: «يا ليتني لقيت من يقول لي».

فأجابه الحكيم قائلا: يا ليتك عملت بما كان معك!، وهذا حق.. فمع كلٍّ منا هداه.

مزية الخير قدرته على أن يجعل نفسه واضحا ومُصدّقا، بحيث لا يحتاج إلى براهين تثبت وجوده أو تؤكد قيمته، أو تدل عليه!!

وهذا بالطبع لا يقلل قيمة المعرفة.. وإنما يرفع إلى مستواها قيمة العمل والمثابرة.

ولا تظن أنك في طريق الحق وحدك:

انهض.. خذ مكانك بين رفاقك العظام، ولا تسئ الظن بعصرك، ولا تحسب أنك «عصفور بين غِربان»، أو أنك «صالح في ثمود»!

فلم تعد الحياة الإنسانية تأبه إلا للبطولات التي تنطلق من الخير وتعمل وفق أغراضـه..

لقد أنزلت «جنكيز خان»، ورفعت «بوذا»..

طوت أعلام «بونابارت»، ونشرت أعلام «باستير».

دمّرت صولجان «هتلر»، وقدّست مغزل «غاندي».

لم يعد التاريخ يقف عند ذوي البأس والسطوة.. بل مع ذوي المروءة والحق.

خالد محمد خالد



كَفْكِفْ دموعَكَ ليس ينفَعُكَ البكاءُ ولا العويل

واسلكْ بهمَّتِكَ السَّبيلَ ولا تقلْ كيف السَّبيل

ما ضَلَّ ذو أملٍ سَعى يوماً وحكمتهُ الدَّليل

كلاَّ ولا خاب امرؤٌ يوماً ومقصدهُ نبيل

إبراهيم طوقان







وعليه.. كانت هذه الكلمات!

كانت الدعوة التي تلقيتها لإلقاء محاضرة على تجمّع يضم مجموعة من الجمعيات التطوعية دورا كبيرا في كتابتي لهذه الرسالة فيوم أن وقفت أبيع بضاعتي من الكلمات لجموع من المخلصين الذين يبيعون راحتهم وهناءهم لخدمة الآخرين أدركت إحساسين متناقضين!

أما الأول فكم أنني صغير أمام قامات هؤلاء العظماء.. فتيان وفتيات معظمهم في ربيع العمر، يحملون تجارب فريدة في التخفيف عن آلام الناس، وتضميد جراحهم، ورسم البسمة على شفاههم إنهم خلفاء الرسل والأنبياء، حملة المُثل والقيم.. لله درّهم.

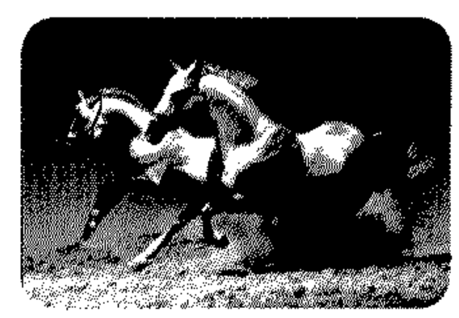
أما الشعور الثاني فهو عظيم ما أقدّم من خلال كلماتي حيث وجدت عباراتي التي أخطها في كتبي حاضرة على شفاههم وأفكاري التي أكتبها تنير لبعضهم الطريق، حينها أدركت أن الكلمة ليست بالبساطة التي قد يتصورها البعض، إنها الأمانة التي يجب أن يستشعر ثِقلها حامل القلم..

لملمت كثيرا من الاستفسارات التي وجدتها عندهم آنذاك، وقررت أن أجيب لأصحاب القضايا النبيلة، والرسالات العظيمة عما سألوني، محاولا أن أقاسمهم الأجر..

ولقد قسمت هذا الكتاب قسمين:

قسم يخاطب فيك الفارس الكامن بداخلك منتظرا رفع الراية لينطلق أخبره بأنه فارساً، نبيلاً، عظيماً، وأنه يجب أن يمتطي فرسه ليكون وسط الفرسان في معترك الحياة.

والنصف الثاني أخاطب فيه الفارس أيضاً، الذي أظنه لم يتوانى عن الإنطلاق، فأُخبره أن هناك ثمة قضية عظيمة تحتاج إلى من ينصرها ويعلو بها..



من أجل الفرسان الذين ينطلقون مع إشراقة كل صباح لتستقيم كفة الحق ويكون الخير عنواناً بارزا في دنيا الناس.. أكتب هذه الكلمات.



في البدء كانت صرخة!

نعم..

نبدأ حياتنا بصرخة!

جميعنا نُعلن ومن اللحظة الأولى عن وجودنا، نرفع أصواتنا بأعلى ما نملك، نشقّ بصوتنا الحاد مسامع أذن مستبشرة، فتتلقفنا الأيدي بالحب والبهجة.

وبعد أعوام طالت أم قصرت، تودّعنا أكفّ أخرى إلى مثوى أخير، يكون الصمت عنوانا للمشهد آنذاك، صوتنا ليس له أي وجود، سكون حزين، وبعض دمعات، وتمتمات بدعاء بالمغفرة ثم.. ينتهي كل شيء..

منا من يُنسى، وكأنه لم يزر هذه الأرض قط، فلا يذكره أحد.

البعض الآخر يعلو ذكره بين الأحبة والأصدقاء، ترحّما، ودعاء بحياة أخرى هي الأفضل، في كنف رب رحيم.

صنف ثالث ذكراه تثير الحنق، وتستدعي اللعنات، وتأكيد بأن الأرض صارت أهدأ من دونه!

ويتبقى صنف أخير -وقليل- ذاك الذي لا يموت.. حيث الأعمال العظيمة تنافح عنه، وتُعلي من سيرته، وتُذكّر الناس دائما بأنه حي لم يمت.

في كل يوم يزيد محبوه واحدا أو أكثر، يخطب في الناس بشكل مستمر، يوجّههم إلى الصلاح، يدعوهم إلى مأدبة عظيمة أعدّها بنفسه، وأودع فيها من روحه، ودمه، وصِدقه.. الشيء الكثير!

هؤلاء هم أصحاب القضايا الكبرى، متبنّو المبادئ العظيمة، من تملكهم الأفكار النبيلة، فتنفث فيهم من روحها، فتهيج الهمة، وتلهب الطموح وتُشعل الحماسة.

يعيشون لها وبها، وتعيش لهم وبهم.

هؤلاء هم أصحاب الخيار الصعب، والطريق الوعر، والمخاطر المستمرة..

. وذلك لأن قرارك بأن تعيش عظيماً، ليس بالقرار الهين ولا البسيط، ويحتاج منك إلى أن تصهر روحك، وذاتك، فتتشكل من جديد وفق ما يتماشى مع ما تؤمن به، وعندها.. يذوب كل منكما في الآخر.



حياة.. والسلام!

عاش خالد بن الوليد -رضي الله عنه- مقاتلا صنديدا، لم يُهزم في معركة، لا قبل إسلامه ولا بعده، تكسّرت على يده السيوف وتعددت من تحته الخيول، وصاغ بعبقريته مفردات نادرة للتخطيط الحربي، ودهاء القادة، وبسالة الفرسان.

لكنه ورغم حياته الحافلة التي قابل الموت فيها وجها لوجه مئات المرات إلا أنه مات على فراشه في هدوء، ولم ينسَ قبل أن يغمض عينيه للمرة الأخيرة أن يسخر من كل جبان مؤثر للسلامة قائلا:

«لقد حضرت كذا وكذا زحفا، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، أو طعنة برمح، وها أنا ذا أموت على فراشي حتف أنفي، كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء».

لا نامت أعين لم تدرك أن الروح لخالقها، وبأن نواصينا بيد الله.. فعاشت ترتجف رعبا وهلعا، وخوفا، ليس لها قضية تعيش من أجلها، أو مبدأ تُرخص نفسها كي يعلو هو ويعيش!

سيف الله خالد يخبرنا بأن كثرة المخاطر هي التي تصنعك بل

هي التي تهبك العظمة الحقيقية، وبأن العلامات التي تتركها معارك الحياة على جسدك هي التي تنحت في ذاكرة الدنيا سيرتك، وتُمجد ذِكرك في الأرض.. والسماء.

حياتك هي قضيتك!

وقد نقول: «**قضيتك هي حياتك**» كلاهما صواب؛ ففي ركن ما من العقل تترسخ المبادئ والأُطر التي تُحركنا وتتحكم فينا، وتُسيّرنا بدأب نحو ما نؤمن به.

فهذا «**قضية عمره**» أن يعيش غنيا، فتراه يبذل كل شيء كي يعيش.. لقضيته.

وذاك حياته مرهونة بالشهرة وعلو الذكر وسطوع النجم، فهو يتملق هذا ويركض خلف ذاك، ولا يهنأ باله إلا بتحقيق.. حلم العمر.

وآخر أعطى تركيزه لأبنائه، فقضية عمره أن يعيشوا هانئين سعداء، فيجعل من نفسه آلة تدور بلا توقف؛ من أجل أن يوفر لهم الحياة اللائقة الكريمة.

وأجدني مدفوعا إلى أن أسألك، وأنت.. ما هي قضيتك؟

يا لضيعة العمر إن لم تجد إجابتك حاضرة، وواضحة، وجلية..

يا لضيعته -ثانية- إن كانت إجابتك ليست على قدر طموحك، أو همتك أو وعيك.



يا لضيعته -ثالثة- إن كانت قضيتك ليست حياتك! أو كانت تحتل مرتبة دنيا في وجدانك.

سل العظماء عن الحياة وسيخبرونك بأنها لا تقبل الحلول الوسط!

فأنت إما عظيم وإما دون ذلك.

والعظمة ليست كلمة خاوية جوفاء، إنها ببساطة تتمثل في المبدأ، قل لي مبدأك الذي تعيش به وله، وسأخبرك عن مقدار عظمتك.. هكذا تُحسب الأمور!

هل أتاك خبر سيد!

بدأ حياته أديبا، يصوغ المعاني والأفكار، يغزل بكلماته أثوابا من المفردات الجميلة، فتشيع في الحياة لونا من البهجة والنشوة.

موهبته كانت حاضرة بقوة، فنبّهت الجميع إلى أن هناك «عبقريا» يُعلن عن نفسه هاهنا، المدهش أن «سيد» كان حادا كالسيف في كل معاركه، هكذا كان في مطلع شبابه وهو يقاتل بجسارة في المعركة التي احتمدت بين العقاديين، نسبة إلى الأديب «عباس محمود العقاد» وكان هو أحد جنودها، وبين الرافعيين نسبة إلى الأديب «مصطفى صادق الرافعي» وكان الشيخ علي الطنطاوي

عندما نعيش لغيرنا أي عندما نعيش لفكرة فإن الحياة تبدو طويلة عميقة، تبدأ من حيث بدأت الإنسانية وتمتد بعد مفارقتنا لوجه هذه الأرض. سيد قطب

أبرز جنودها، منذ ذلك الحين ظهر جليا أن «سيد» رجل يقاتل من أجل ما يؤمن به، كان مهاجما عنيدا يثير حفيظة خصومه، وكانت كتاباته النارية معارك تخلّف جرحى وناقمين!



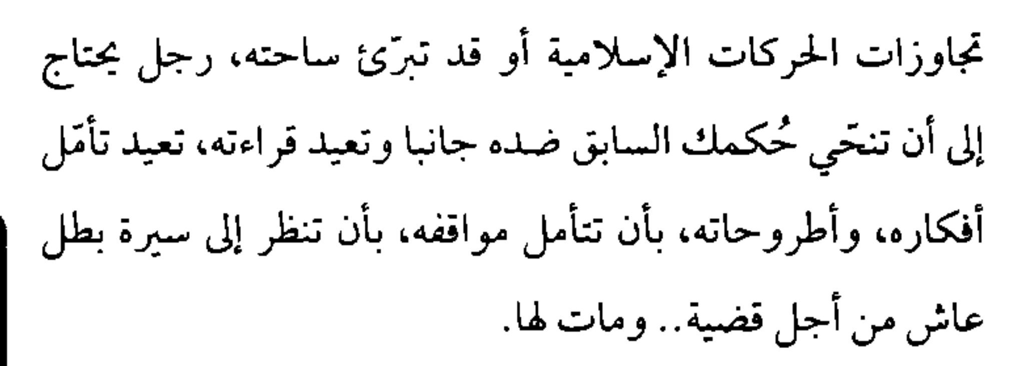
ثم سافر إلى أمريكا، وهناك بادل ذلك البلد الجديد العداء، واتخذ منه موقفا معاديا، لكن الأهم من ذلك أن «سيد قطب» قد انتبه!

نعم لقد انتبه «سيد» إلى الفكرة.. انتبه إلى القضية.. انتبه إلى ما يستحق أن يجمع من أجله شتات جهده، وعرقه، وفكره، وقلمه، وبحثه، ثم يصهره فيه.

كانت البداية بحادث مقتل الإمام «حسن البنا» -رحمه الله- دُهش «سيد» من مظاهر الفرح والسرور التي انتابت أمريكا؛ لموت رجل من رجال الشرق.

بطبيعة الحال كان «سيد» يعرف الشيخ «البنا»، لكن القدر شاء أن يُعيد «سيد» إلى قراءة «البنا»، أو إن شئنا الدقة قراءة فكر وتوجّه الإمام «البنا» بشيء من التروي والوعي، لتصبح تلك اللحظة فارقة وحساسة لا في تاريخ «سيد» فحسب، بل في تاريخ جميع الحركات الإسلامية في طول العالم الإسلامي وعرضه من وقتها وحتى اليوم.

«سيد قطب» الذي قد تختلف معه أو توافقه، الذي قد تُحمّله الكثير من



تجاوزات الحركات الإسلامية أو قد تبرّئ ساحته، رجل يحتاج إلى أن تنحّي حُكمك السابق ضده جانبا وتعيد قراءته، تعيد تأمّل أفكاره، وأطروحاته، بأن تتأمل مواقفه، بأن تنظر إلى سيرة بطل عاش من أجل قضية.. ومات لها.

يُروى أن سيد قطب قبل إعدامه بدقائق أتوا إليه بشيخ يلقّنه الشهادة، نظر الشيخ المُعمّم إلى «سيد» نظرة لا حياة فيها، وقال له: «قل لا إله إلا الله.. محمد رسول الله».

ابتسم سيد ابتسامة هادئة وقال: «يا مسكين.. من أجلها دفعت عمري»!

> **«الجاهلية المنظّمة لا يهزمها سوى إسلام منظم»..**

كانت هذه هي رؤية «سيد» لنُصرة قضيته، أنها يجب أن تخضع لكل الأسس العلمية والفكرية التي تضمن انتصارها، خصوصا إذا ما كان المعسكر الآخر مُنظما ودقيقا.

لا يجب أن تكون النوايا الحسنة هي فقط كل زادنا في مواجهة الآخرين، وليست كافية -رغم وجوبها- في إقناعهم وجذبهم إليها.

كان «سيد» نموذجا يمكنك أن تستدعيه إذا ما أحببت أن ترى

إن أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئا كثيرا، و لكن بشرط واحد: أن يموتوا هم لتعيش أفكارهم. سيد قطب

شاهدا حيا لرجل يدفع ثمن إيمانه بأفكاره، كما يمكنك أن تستدعي من التاريخ قصة «أحمد بن حنبل» أو «سعيد بن جبير»، أو «ابن تيمية»...

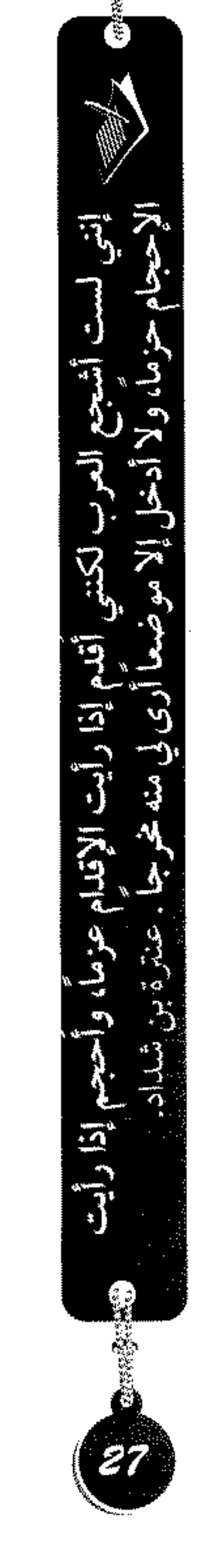
ارجع بذاكرتك أكثر إلى صحابة النبي، عد أكثر إلى الخلف حيث أصحاب الكهف، وماشطة ابنة فرعون وفتى الأخدود..

ليس عندي غضاضة أن تذهب بعيدا عن تراثنا إن أحببت لتتعلم من تاريخ «جيفارا»، أو «لينكولن»، أو «تشرشل»..

ما يهمني حقا أن تنتبه إلى الفكرة التي أودّ ترسيخها وتوكيدها..

وهي أن الإنسان لن يلامس حدود إنسانيته الحقيقية ما لم يؤمن بفكرة عظيمة ويبذل جهده من أجل نصرتها.

أو كما يؤكد «مارتن لوثر كينج» من أن «المرء إن لم يكتشف شيئا يمكّنه من الموت دفاعا عنه فإنه غير جدير بالحياة».



احفظ لنفسك مكانها

ولعلي بقائل: لقد قيّدتني ظروف الحياة، ونالت مني معاركها الظالمة.

وأرد عليه قائلا: لا يا صاحبي، أنت حيث تضع نفسك، فإذا لم تمضِ الحياة وفق ما تشتهي، فهذه طبيعتها، القسوة من شيمتها والصلابة ديدنها، لكنها ما تلبث أن تفسح للمنتصر الطريق وإليك مثال اسمه «عنترة»!

ففي القرن الخامس الميلادي عرفت العرب أشجع الفرسان في تاريخها، وهو «عنترة بن شداد»، أبو الفوارس، الذي انتزع آهات الدهشة والإعجاب بشعره الأخاذ، وانتزع الرفعة والشرف بسيفه الحسام، الذي كان أول من يهبّ عند النداء والطلب، وآخر من يلقي بالاً للغنيمة إذا ما جرى تقسيمها.

يُنبِيك من شهد الوقيعة أنني   أغشى الوغى وأعفّ عند المغنمِ

لكن المثير للتأمل أن «عنترة» وُلِد عبدا أسود اللون، ولم يشفع

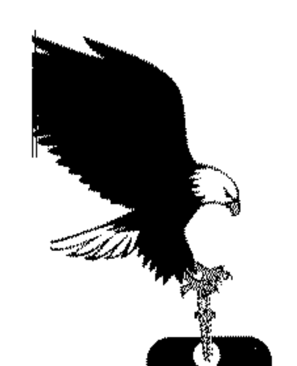
له معرفته أنه ابن أحد أشراف شبه الجزيرة العربية «شداد بن عمرو بن معاوية بن مخزوم»، حيث لم يعترف به الرجل الشريف بعدما أنجبته إحدى إمائه، بل كان يناديه دائما بالعبد.

عاش «عنترة» وهو يشعر بالغربة؛ ففي عروقه تجري دماء أحرار، وفي نفس الوقت مكتوب عليه أن يعيش عيش العبيد، بيد أن «عنترة» لم يستسلم للأمر الواقع، كان متمردا، تعلّم ضرب السيف، ورمى الرمح كما الفرسان، بل تفوّق عليهم تفوّقا ملحوظا، تعلّم الشعر ونبغ على شعراء زمانه كلهم، وجلس متأهبا منتظرا الفرصة.

إلى أن حدث يوما أن غنم هو وقومه مغنما من حرب، وعند تقسيم الغنيمة لم يرسلوا له نصيبه قائلين:

لا نقسم له نصيباً مثل أنصابنا؛ لأنه عبد، نظر حينها «عنترة» إلى أبيه فلم يجد منه ردا، فجلس وحده بعيدا عنهم.

وإن هي إلا ساعة من نهار إلا وغارت عليهم قبيلة «طي»، فتفرق قوم «عنترة»، ووقع منهم قتلى وجرحى كثر، ولمح «عنترة» أبوه وهو يأتيه فزعا ويقول له: كر يا «عنترة» (أي اهجم عليهم) فهزّ «عنترة» كتفه وقال له: أوَنسيت، إنما أنا عبد، والعبد لا يُحسن الكرّ، إنما يحسن الحلابَ والصرّ (أي أعمال الخدمة)، فقال له أبوه: العبد غيرك، كرّ يا بني وأنت حرّ.



وهنا قبض «عنترة» على فرصته التي ينتظرها.. وعاش حراً طوال عمره، بعدما اقتنص فرصة طالما استعدّ لها.

يا صاحبي ربما تمضي الظروف عكس ما ترضى أهواؤك، ربما تجد العوائق، والضغوط في طريقك لكن التحدي الحقيقي يكون في قدرتك على جعل الأمل الذي بداخلك ينتصر على الإحباط الذي يلوح في أفقك، وصدقني كل إحباطات العالم لا يمكن أن تهزمك ما دامت لم تصل إلى داخل روحك، تماما كما كان.. "عنترة".

إياك والعجز..

وأمام ضربات الحياة، ورصاصات الخصوم، واتهامات المعسكر الآخر.. لا يجب أبدا أن تشكوا إلى الله شكوى العاجز.

الله يحب دعاء المُستعين به، المستجير بقوته، اللائذ بأمنه، لكنه يكره -جل اسمه- دعاء الخانع الضعيف المستكين..

حدث يوما أن تخاصم رجلان عند النبي ﷺ فقضى بينهما ﷺ فخرج الرجل الذي قُضي عليه وهو يقول: «حسبي الله ونعم الوكيل».

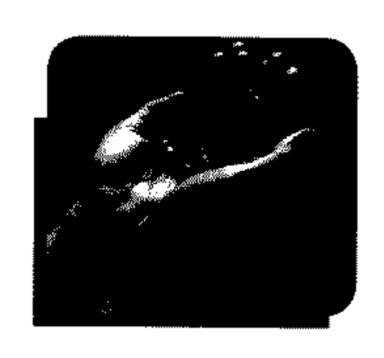
هنا قال له النبي ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ، فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ».

الصبر من عناصر الرجولة الناضجة والبطولات الفارعة، فإن أثقال الحياة لا يطيقها المهازيل. محمد الغزالي.

إن الله يلوم على العجز.. يلوم على السكون.. يلوم على قلة الحيلة.. يلوم على الضعف، والدعة.

ثم يوجهه ﷺ بقوله: «وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ»، عليك بالعقل والتدبير عليك بالأخذ بالأسباب، ولا تترك نفسك ضائعا مستكينا..

ثم يختم معه النبي ﷺ النصيحة بأن:



إذا غلبه أمر، إذا لم يُقدر لك النجاح - بعد بذل ما هو مكتوب عليك من جهد- هنا.. وهنا فقط تضع الأمر كاملا بين يدي الله، وتخلع حولك وقوتك..

يا صاحبي.. إن الله يكره العجز.. أطرق بهذه العبارة عقلك وقلبك..

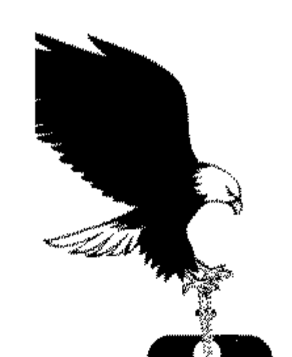
لا تنهزم.. فالله يكره العجز..

لا تستسلم... فالله يكره العجز..

الله يحب المؤمن.. والمؤمن كيّس فَطِن..

المؤمن يُعمل عقله قدر استطاعته، فإذا نال مراده شكر الله وحمده، وإذا خسر أدرك أن خسارته كانت خيرا كاملا..

وعلى هذا مضت سُنن العظماء والمصلحين.





ومع كل هذا الطوفان الجامح بقلبك.. كن في عين نفسك صغيرا!

من العجيب أن ترى مِن بيننا من يبدو أكبر من حجمه الطبيعي وأعجب العجب أن تجد من يصدّق وهمه، ويرفع قدره في عين نفسه بهتانا وزورا.

وهذا مهما تعاظم في مرآة عينه، إلا أنه في أعين الناس.. صغير.

والعظيم حقا لن يلامس حدود عظمته إلا إذا انطلق من حجمه الحقيقي.

نثق بأنفسنا ثقة كبيرة، بيد أنها ثقة الواثق من سلامة موقفه الموقن بنصر خالقه له، المؤيد بالحق الذي يحمله، لكنه فوق هذا يدرك أنه إذا حُرم عناية الله ضاعت من أمام عينيه معالم الطريق وضلّت به السبل.

ورحم الله من قال: «**الإعجاب يمنع الازدياد**».

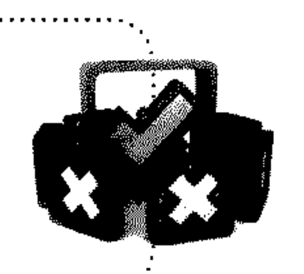
فعندما تُعجَب بما قدّمت وفعلت، فلن تزداد علماً ولا رفعةً ولا رقيا، فالعلم بحاجة إلى تجرد، وتواضع، وإدراك تام منا بأننا في عالم الفهم والمعرفة صغار.

ولله درّ التابعي الجليل الذي ينبهنا إلى أهمية اتهام النفس

وتصغيرها، والخوف عليها من نفسها بقوله: **«التقيت بأربعين صحابياً ما منهم واحدٌ إلا وهو يظن نفسه منافقاً»!**

آه يا صديقي..

أربعون صحابيا رأوا النبي ﷺ وعايشوه، ومع ذلك يضعون نفوسهم في دائرة الاتهام خشية أن تستيقظ فيهم مكامن الكبر، والفخر، والعُجب، فلا يستطيعون إسكاتها..



وعليه كان لزاما علينا دائما أن نوقن في دواخلنا بأننا صغار، وإن كبرنا فإننا نكبر ونعلو بعلوّ وكبر الغاية التي نسعى إليها، وبالحق الذي نعمل على نصرته.

حدثني عن برهان عظمتك

عجيب أمر الناس، تتحدث عن أمورٍ عدة، وتملأ الدنيا كلاما عنها، لكنها عند التعريف والتفصيل والتوضيح.. تضرب أخماسا في أسداس..

- **وإلا فما هو تعريفهم للسعاة، والرقي، والطمأنينة، والعظمة!**

سل ألف إنسان، وستأتيك ألف إجابة لا تشبه إحداهما أختها، ولهذا الأمر وجه سلبي، وآخر إيجابي..

أما السلبي فإننا لن نستطيع الوصول إلى طريق العظمة أو الرقي ونحن لا



نعرف له تفصيلا واضحا، دون أن نملك الخريطة التي ننظر إليها كلما التبس في أذهاننا شيء، أو غامت للحظات معالم الطريق..

وأما الشيء الإيجابي فإن تعدد السبل إلى المقاصد العليا الشريفة يعطينا مساحة محمودة للاختلاف والتنوع، ذلك الاختلاف الذي يبهج الأرض، ويرقى بُعمرانها، ويُلهمنا طرقاً مبدعة خلاقة نكتشف من خلالها أنفسنا، ونرتقي فيها بأرواحنا..

يتبقى التباس خطير.. وهو عن مفهوم العظمة في أذهان البعض، وارتباطه بالهبات الكبيرة، والطفرات المُبهرة، والخطوات العملاقة، ذلك الذي لا يعطي لقب «عظيم» إلا لمن صار صوته مسموعا في وسائل الإعلام، وبات اسمه محفورا في ذاكرة الدنيا وصورته منقوشة في وعي الناس..

لا.. «العظيم» ليس فقط من يفعل الأشياء العظيمة بشكل عظيم.. «العظيم» من يفعل الأشياء البسيطة بحب عظيم!

الفلاح الذي يروي أرضنا بعرق جبينه ويعود ليلا لبيته بعدما اتقى الله في زرعه وحصاده.. هو إنسان عظيم..

المُعلم الذي استقبل أبناءنا لينقش في عقولهم المُتفتحة سبل التطور، ومبادئ المعرفة.. هو إنسان عظيم..

الثائر الذي يرفض الظُلم.. الموظف الذي يتوخى الصدق..

العظمة لا تورث، ولا تُعطى بغير ثمن، إنما عطاء ممتد وجهد متواصل، وتعهد تام للضمير، ومراقبة مستمرة للنفس.

الطالب الذي ينشد المعرفة والعلم... كل واحد منهم عظيم..

وهنا أسمع سؤلاً يقول في تعجّب: **الناس كلهم إذن عظماء؟!**

وأردّ عليك بقولي: نعم.. ولا.. وفي التشبيه القادم إيضاح!

بوصلة العظمة

دعني أعود معك لما بدأت به حديثي من أن كلا منا له قضية يعيش لها.

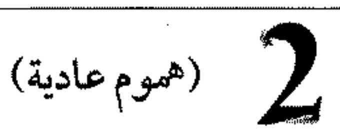
تتفاوت في درجات العظمة أو الخسّة، وكل همة تحمل صاحبها إلى حيث يستحق.

لكنني أحببت أن أعطيك تصوري بشكل مختلف، به بعض التفصيل.

حيث أرى أن البشر يسكنون في مربع «هموم» من بين المربعات الأربعة التالية:









1 (هموم تافهة)	2 (هموم عادية)
قضيته إرضاء شهوة ما لديه، لا يهتم بشركائه من البشر، الأهم هو نفسه، ولا يتحرك إلا إذا تأكد من أن هناك فائدة مباشرة ستعود عليه.	مما يشترك فيها معظم البشر، كتربية أبناء، وتوفير مطالب الحياة المعيشية.
3 (هموم نبيلة)	**4 (هموم عظيمة)**
خدمة غاية إنسانية نبيلة، كدفع الظُلم عن الإنسان، أو توفير المطعم والملبس للفقراء... وغيرها مما يستفز المشاعر الانسانية فتنهض مُلبّية.	وهي الغايات ذات العُمق الديني، والتي تخدم هدفا نبيلا شريفا، وفي نفس الوقت لدى صاحبها نية في أن يكون كل ما يقدمه مرضاة لله، وإعلاء لدينه.

كل واحد منا يسكن في مربع من هذه المربعات، وقد يتنقل بينهما حسب تغير قناعاته، وهمومه.

لكنني أحب أن أشير إلى بعض النقاط المهمة كي تكون رؤيتي واضحة لك:

أما الأولى

فإن ما أراه عاديا قد تراه أنت نبيلا، وما أؤمن بعظمته قد لا يكون موقعه بقلبك نفس الموقع المتميز؛ وذلك لأن فضل الله ورحمته دفعت لأن تختلف رؤانا، فتتعدد همومنا وقضايانا، فيحدث الثراء والدفع، ويسدّ كل منا فجوة وثغرة، وتتكامل الإنسانية تكاملا قائما على حاجة كل منا لجهود صاحبه ورؤيته، وموهبته.

والثانية

أن كل امرئ ميسّر لما خُلق له، وهمة المرء إذا ما كانت مشتعلة حملته إلى ما يشتهي، وإلا قعد عاجزا دون ما يريد ويطلب.

بمعنى أن هناك من أعطاه الله قدرات نفسية أو جسدية أو مادية تدفعه إلى التميز والارتقاء والعلوّ، لديه وعي عميق، ورؤية متزنة، وصلابة ضد الصدمات والأزمات، فهو يملك ما يجعله مناطحا للسحاب، ناثرا من همته وموهبته، وفضله على الجميع.

 **هذا لا يحق له أن يكون من أصحاب المربع الأول أو الثاني.**



بينما هناك من أعطاه الله قدرات عقلية أو نفسية محدودة، فسكونه في المربع الثاني هو منتهى إمكانياته وغاية ما يقدر عليه، يكفيه أن يبني بيتا سليما صحيا



ويربّي أبناءه تربية صحيحة سليمة وبهذا يكون قد فعل أقصى ما أوجبه الله عليه.

إن التحديات التي يلاقيها ساكنو المربع الأول لن تكون بالمقدار الذي يواجهه أصحاب المربع الثاني، ولن يكونا كلاهما كالمخاطر والتحديات التي يلاقيها أصحاب المربعين الآخرين.

ولهذا نبه شيخنا الجليل «محمد الغزالي» من أن «مصاعب الحياة تتماشى مع همم الرجال علوًّا وهبوطا»، وعليه فأنت الذي تضع نفسك في المكان الذي خُلقت له.

بقي أن أقول إنه من ذكاء المرء أن يضع نفسه في المكان الصحيح أو كما قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله:

«على الإنسان أن يصل إلى غاية ما يستطيع، فلو كان لآدمي بلوغ السماء لكان من النقائص بقاؤه على الأرض».

إن صلاح الأمم والشعوب بحاجة إلى أفراد عظماء يتلاحمون فيما بينهم، ليصنعوا كيانا فتيا صلبا، والخطر كل الخطر أن يتراجع أصحاب المواهب والقدرات والإمكانات ليرضوا بلعب دور صغير في الحياة، تاركين الساحة لمن هم أقل منهم على قيادة الدفة ولله در الأديب «مصطفى صادق الرافعي» إذ ينبهنا إلى أنه:

«مثلما يضرّ أهل الشر غيرهم عندما يفعلون الشرّ، يضرّ أهل الخير غيرهم عندما يتوقفون عن فعل الخير».

إن العظماء يولدون من أرحام أمهاتهم والحياة تتربص بهم، توجه لهم كل يوم صيحة حرب، أو نذير معركة.



هدفي ,, وهدفك

إن غاية مطمحي من هذه الكلمات أن تدفعك للإيمان بقضية عظيمة تصنعك، وهو - والله يعلم - مطمحي ومرادي، ولا يعني أبدا إمساكي للقلم أنني أفضل منك، إنما هو التواصي بالحق والصبر والخير الذي أمرنا الله - سبحانه وتعالى - به.

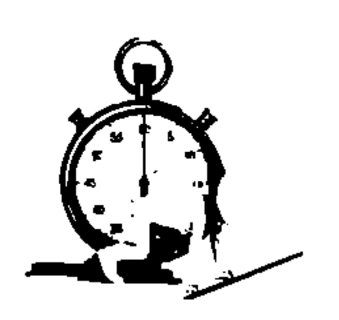
إننا يا صاحبي شركاء في دفع عجلة العظمة لتكونا أمتنا أقوى وأفضل مما هي عليه الآن، ولا أحسب هذا سيحدث إلا بأن نكون نحن أولاً عظماء .

ولن نكون كذلك حتى يتبنى كلٌ منا هدفا ساميا عظيما، وينطلق إليه وعليه فإن كل كلمة في هذا الكتاب هي دعوة لأن تكون أو «أن نكون» عظماء بأفكارنا، وعقائدنا، وسلوكنا ..

فهيا ... اركب معي ..!

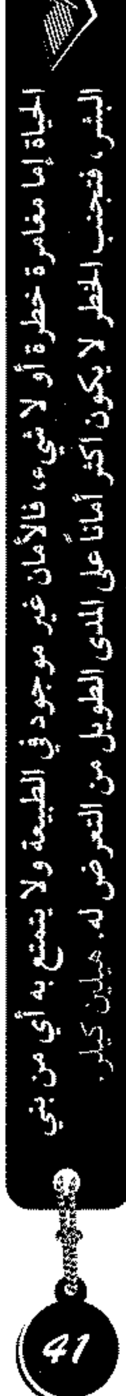
وليكن دعاؤنا بالتوفيق والسداد هو ديدننا ونشيدنا ..

فاللهم وفقنا وسدد على الحق أقدامنا ..



عش عظيماً

إن حياة العظيم ما هي إلا مجموعة من المواقف والسلوكيات القويمة، حوّلها بالمثابرة والتكرار إلى عادة راسخة، وخلقا قويما، وسلوكا ظاهرا.





1 | للنجوم فلتصوب ناظريك


قصر الزهراء

وقف الفتي الأندلسي الفقير «محمد بن أبي عامر» ينظر إلى قصر الزهراء موطن الخلافة وملتقى رجالات الأمر والنهي في الأندلس فأشفق عليه صديقه وقال له مبتسماً : يا محمد إن النظر إلى النجوم يأخذ البصر ويُضعفه !.

فرد عليه ابن أبي عامر بحسم قائلا : وقد يقويه ويشحذه !.

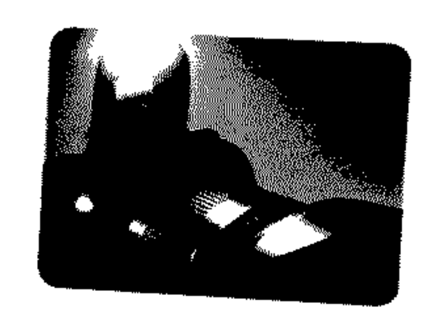
ولقد صدق الفتي الطموح، فالتطلع إلى المعالي يوقظ في القلب نوازع الهمة فيشعل نارها، ويلهب الطموح، ويدفع بالمرء إلى اقتحام الصعب، ومواجهة الأهوال.

لذا فليس بمستغربٍ أن يجلس هذا الفتى الفقير المُعدم بعد سنوات على كرسي الحُكم، ويكتب إسمه في التاريخ كبطل وقائد.. وخليفة .

وليس نصحي لك بأن تصوب نظرك للمعالي محض خيالات

وأوهام وردية، وإنما هي وصية نبوية عميقة لأتباع هذا الدين أكدها ﷺ بقوله: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا».

إن الله يحب الطموح، والرقي، وتعلق القلب بغاية نبيلة شريفة عظيمة..



ويكره موات الهمة، وضعف العزم، وخسة وتفاهة الغاية والمطلب..

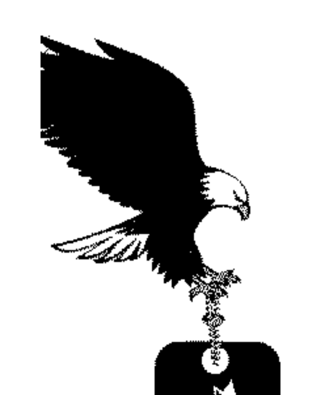
ولعلي أوضحت لك سابقاً أن العظمة لا تعني بالضرورة أن تكون هدفا لفلاشات الكاميرا والظهور على شاشات التلفاز وإنما العظمة الحقيقية أن تبذل جل جهدك في عمل شريف، وتحاول أن تكون مبدعاً وخلاقا في أدائه.

إن الله يا صاحبي لا يكلف نفساً ما لا تطيق، لكننا نحن من نفعل ذلك ..!

نفعله مرةً بطلب ما لا ينبغي لنا طلبه، ونفعله كذلك مرات بالرضى بالواقع، وجمح الطموح، وتعويد النفس على القنوع بالأقل والأدنى ..

البعض منا يجد في الراحة ملاذاً آمناً، فلا يقتحم الصعاب ولا يقبل بالتحديات حتى تنتهي حياته الهادئة.. نهاية هادئة ! .

دون أن ننتبه لوجوده على سطح الأرض.. ويُنسى ذكره بعد حين، حيث لا نجد له يأخذ الخاطر ليقف إجلالا لعظيم ما قدم أو صنع..



إن للكلام قوة إذا ما وجد عقلاً حصيفاً يتدبره، وهمةً ماضية تتبناه، وكم من عظيم كانت بدايته حكمة سمعها فأيقظت روحه، وأنارت ظلام عقله، وكشفت له أسرار الحياة.

ولله در الشاعر الذكي اللبيب إذ ينبهنا إلى أن الراحة الحقيقية ليست في تطليق التعب والمخاطرة والاقتحام، بل هي بهم فيقول:

بَصُرتُ بالراحة الكبرى فلم أرها

تُنال إلا على جسر من التعب

أنظر لقوله «الراحة الكبرى» لتبصر أن هناك ثمة «راحة صغرى» يلجا إليها ضعاف البصر والبصيرة، ويركنوا تحتها فيمنعوا عن أنفسهم حظاً كبيراً، وخيراً وافراً.

ولعلي بقارئ متذمر يقول : قد تعبنا من كثرة الكلام والتنظير وشبعنا تحفيزاً وحماساً، نريد كلاماً عملياً ..!

لله درك يا صاحبي المعترض .. فما أبهاك وأحلاك، وأروعك ..!

فعلاً .. ليس للكلام ثمة فائدة، ولا للحروف قيمة، ولا للتحفيز سحر، مالم ننطلق بها نحو المعالي، فتترجم هذه الحماسة الفوارة إلى خطط عمل وخطوات عملية، وهذه يا صديقي هي مهمتك الصعبة ..

أساتذتنا في المدرسة علمونا الأحرف والكلمات، لكننا نحن

من كونا الجُمل والعبارات، هم فتحوا الباب ونحن الذين مشينا ودخلنا ..

في قلب كل واحد منا يسكن حلم.. أستطيع أن اقسم لك على ذلك..

لكن ما لا يعلمه البعض أن الأحلام مُقيدة بهمم أصحابها ..! .

يقول أحد الحكماء:

«ما افترقت الناس إلا في الهمم، فمن علت همته علت رتبته، ولا يكون أحد إلا فيما رضيت له همته».

ما أبلغ هذه الكلمات وأصدقها، حيثما تسكن همتك.. يكون سعرك في سوق العظماء .

مشكلتنا الكبرى يا صديقي أننا لا نؤمن بأحلامنا، لا نحترمها، لا نصدقها ولو فعلنا لطرقنا كل باب، وسألنا كل ذي علم، ولفتشنا عن الحيل والطرق والدروب التي تأخذنا إلى أحلامنا فنقتنصها ..

لذا تجدنا نفرح كثيرا ونحن نقرأ أو نسمع عما يمكن أن يحملنا للقمة، ثم بعدما نتصادم مع الواقع بصعوبته وقسوته، نغضب ونتهم القائل بأنه مثالي لا يرى الحياة على حقيقتها، وكان الأجدر بنا أن نحترم نحن أولا أحلامنا ونؤمن بها، ثم نفتش - نحن - عن طريقة نحقق بها هذا الحلم ..





واسمح لي أن أسألك سؤلاً واضحاً :



ما الذي أعطاه النبي ﷺ لأصحابه خصوصا في مبتدأ دعوته ؟.

كلاماً، ووعوداً، وبشارة .. أليس كذلك ..؟!

قولوا لا إله إلا الله تفلحوا.. هذه كانت دعوته.. كان يحفزهم بالنصر القادم، بالجنة الموعودة، بالتمكين والعلو..

فكان الرجل من قريش يسمع الكلام ويزنه في عقله، ويدخل في سجال فكري وعاطفي مع الفكرة التي طرحها هذا الرجل البسيط الضعيف ـ آنذاك ـ فيؤمن أو يرفض.

فإن آمن بالفكرة وصدقها واحتلت من نفسه مكاناً بارزاً، أدرك أن ما مضى من حياته شيء، والقادم شيء آخر، فيشمر الساعد ويهيئ نفسه للتعب والمصاعب، ويستعذب العذاب ما دام في سبيل نصرة فكرته وتحقيق أحلامه ..



ونفس الشيء حاصل في حياة كل شخص آمن بحلم وحققه، كانت البداية بكلمات اصطدمت بأفكاره عن الراحة والسكون فتغيرت بوصلة عقله، وشُحذت طاقته وهمته، ومضى نحو غايته بلا كلل أو ملل مهما لاقى من المصاعب والتحديات .

للنجوم يا صاحبي فلتصوب ناظريك .. فلن تعود خالي الوفاض أبداً ما دمت تمتلك في القلب روحا وثابة، وعزماً ماضيا ..

وأنظر لحبيبك محمد ﷺ يعلمنا الارتقاء وعلو الهمة حتى في الدعاء، وتمتمات الشفاه فيقول « إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس.. فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة ».

حتى في طلبك ودعائك لا تسأل الله الجنة وتستعيذ به من النار فحسب وإنما اسأله أعلى وأرقى المراتب والدرجات..



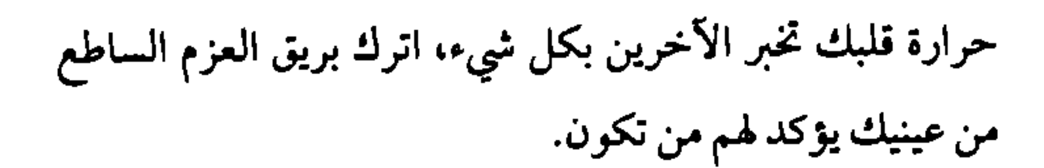
ولا يوحشك أن الطريق للعظمة قليل سالكوه فهكذا الحق دائماً قليل رواده، وكتب التاريخ لا تذكر كل هذه الملايين المتدافعه من الأرحام، إنها فقط تذكر هؤلاء القلة الذين خالفو المعهود وسلكوا طريق العظمة والرقي.

حتى هذا المعنى يؤكده النبي ﷺ بقوله:

« إِنَّمَا النَّاسُ كَالإِبِلِ المِائَةِ، لاَ تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً ».

أي أن نسبة المتفردين من البشر في عطائهم، وعظمتهم، ورقيهم، ١٪ أو أقل ..

ولعله من نافلة القول التأكيد على أن عزمك وهمتك وطموحك العالي ليسوا عُرضة للتباهي والتفاخر، ولا يجب أن تبحث لهم عن تقدير أو مكافأة، بل دع



حرارة قلبك تخبر الآخرين بكل شيء، اترك بريق العزم الساطع من عينيك يؤكد لهم من تكون.

إن العظماء الحقيقيون لم يدر بخلدهم أبداً أن يكونوا عظماء إنهم يؤدون دورهم المحدد في خدمة قضاياهم العظيمة، لا يبتغون شرفاً ولا رفعة، لا يبحثون عن الأضواء ولا التصفيق والتهليل، إن أعينهم دائما متعلقة بالهدف الكبير، بالغاية السامية، يحثون الخطى نحوها، فيصنعون بدأبهم قصة مكتملة الأركان تُصبح أسطورة تتلوها الأجيال جيلا بعد جيل..

خصوصاً وأن الوقوف عن العمل طلباً للثناء أو التصفيق لا ينبغي للعظماء، ولله در من قال منبهاً :

«إن أجهل الناس بالحق من يبتغي الأجر عليه».

وعليه فإن أجهل الناس بالعظمة من يطلب من الحياة أن ترفع من شأنه وتكتبه عندها عظيما..! .

التجار وحدهم هم الذين يحرصون على العلامات التجارية، أما أصحاب العقائد فكل سعادتهم في أن يتقاسم الناس أفكارهم وعقائدهم ويؤمنوا بها إلى حد أن ينسبوها لأنفسهم. . سيد قطب.





2 بين عثرة البدء .. وهمة العزم


قلعة تكريت

كان قائد قلعة تكريت بالعراق يستعجل أهله كي يرحلوا عن القلعة قبل انقضاء المهلة المحددة لهم، فالرجل الذي عاش سابق حياته والياً على القلعة، قد جاءته الأوامر من السلطان أن يخليها ويرحل هو وأهله عنها وبلا إبطاء.

وبينما الأهل يجهزون رواحلهم ويستعدون للمسير، وإذا بزوجته تصرخ وقد فآجأتها آلام المخاض، حار القائد فيما يفعل وقد قاربت الشمس على الإنبلاج معلنة بدء يوم جديد ليس من صالحهم أن ياتي وهم بعد في القلعة.

انتظر الرجل وكله ترقب وقلق حتى إذا ما وضعت زوجته ولدها، حملها معاً وسار بهما إلى مبتغاه البعيدة حيث بلاد الشام وفي الطريق عاتبته زوجته أنه لم ينظر لوجه طفله قط، ولم يختر له إسماً، فقال لها وهو يتأمل الظروف المؤلمة التي تحيط به : ما أظنه سيعيش في هذه الظروف الصعبة !.

كان الرجل متطيراً من مقدم هذا الفتى في تلك الليلة الحزينة، فلم ينظر في وجهه حتى وصل إلى مبتغاه..

لكن القدر كان له رأي مختلف.. فمع دوران الأيام كان لتدبير العناية أمر آخر..

أعوامٌ تمر، ويقف العالم كله، شرقه وغربه، مسلميه ومسيحييه، باحترام وإجلال، لرجل غير مفاهيم القيادة والحرب.. ذاك هو الناصر صلاح الدين الأيوبي...

الرجل الذي ولد في ليلة كئيبة حزينة، ما الذي فعله كي يصبح أسطورة الدنيا، ومُلهم القادة، ومغاث الملهوفين، ورمز العزة والكرامة ..؟! .

عجيب أمر الدنيا، وعجيب تدبير القدر ..

نهبط جميعاً معترك الحياة وقد تعددت نقاط البدء لكل واحد منا، كلٌ وفق ظروفه وحاله وزمانه.

.هذا يولد في بيت عز وشرف فيبدأ انطلاقه على مهدٍ من حرير، وذاك يولد في كوخٍ صغير على قطعة قماش غير عزيزة على أصحابها، فيكون انطلاقه صعباً مؤلماً..

تدور الأيام والسنون، وإذا بالأول لم يتقدم كثيراً، أو يصنع فارقاً يُذكر، بينما





الثاني قد انطلق بروح وثابة، وهمة موارة، وعزمٍ وجلدٍ لا يلين ..

أو ربما العكس ..

ويكون السؤال .. هل الحياة ليست عادلة، هل يحابي القدر أحدهم ويضطهد آخراً ؟!.

هل من العدل أن نولد غير متكافئين، ثم نحاسب على ما وصلنا إليه في النهاية، دون الوضع في الاعتبار الفارق الشاسع بين بدايتي وبداية غيري ؟.

والإجابة الحاسمة هي .. لا .

فالله عادلٌ .. والقدر كذلك .

الله عادل وحق.. وميزان القدر مضبوطة رمانته، مهما بدا لقصير النظر اختلالها..

إن الله وإن لم يوحد لنا جميعاً نقاط البدء إلا أنه يُعطي لكل واحد مناً تعويضاً مناسباً، لا يستطيع رؤية هذا التعويض إلا من سعى إليه..!.

وسأفسر كلامي فأعطني قلبك ..

دعنا أولا نتفق على أن النجاح والرقي في الحياة ليس منحة أو عطية بل هو كسب يد، وعرق جبين، من يعلم هذا يمضي في

ليس غنى العظماء بعدد ما يستقر في كيس النقود، لكنه بما يُنقش في التاريخ، وتحفظه الحياة، ويؤجر عليه من الله.

دنياه وقد أرخص راحته القريبة، لمصلحة راحته البعيدة الكبرى، فيهب للعمل والكدح، فيخطئ مرة، ويصيب مرة، ويتعلم من تجاربه، ويأخذ من حاضره لمستقبله، ومن يومه لغده، فإذا فعل هذا بدأب وكفاح، وجد تعويض الله قادماً نحوه على هيئة فرصٍ متتالية، فيقترب من بلوغ خط النهاية ونيل المأرب، في الوقت الذي ربما من بدأ بداية أكثر منه راحة أو توفيقاً لا زال يقرأ خارطة الطريق وشروط المسابقة!.



وتعال يا صاحبي نطالع التاريخ ..

موسى عليه السلام يُرمى في البحر وهو رضيع
عيسى عليه السلام يأتي للحياة وقد أحاطت بولادته الشكوك والظنون، والتشكيك في النسب له وفي الشرف لأمه، محمد ﷺ تتلقاه الحياة باليتم وصعوبة العيش ..

وكأنها رسالة من الله جل اسمه، يؤكد لنا من خلالها أن البداية المؤلمة في الغالب إذا ما استثمرت جيداً تعطي نتائج مشرقة فيما بعد.

أظنني ذكرت لك قصة عنترة الذي ولد عبداً فلم يثنه ذلك من تلمس طريق العظمة والسمو، فصار مثالاً للشجاعة، والإقدام، والإصرار ..

أقول لك هذا يا صاحبي الهُمام كي أنبه روحك فلا تسقط في شرك المقارنة





بين حالها، وحال من دفعت لهم الأيام بعض المكافآت المُبكرة، سيأتي نصيبك لا محالة، ربما كنت أسعد منهم حالا حيث تأتيك المميزات في وقت احتياجك لها فتقدر قيمتها الحقيقية، وتستثمرها خير استثمار، وتستفيد منها أفضل من غيرك.

وما أكثر الذين عاشوا ولديهم مئات الفرص ليكونوا عظماء فيأبون إلا أن يكونوا أي شيء..أو لا شيء.

> نقطة البدء ليست هي القضية، فليس عيباً أن تبدأ فقيراً مُعدماً، العيب ألا تبدأ، فتظل كذلك..

العيب أن تتعلل بظروفك، وحالك، ومآسيك، دون أن تنطلق متحرراً من كل هذه القيود الواهية.

وأقول الواهية لأنها فعلاً كذلك مهما بدا لك قوتها وإحكامها إن القاسم المشترك بين كثير من العظماء هو البداية المؤلمة المتعثرة ولك في أنبياء الله قدوة.. ومثل.

فإذا ما قلت أين أنا العبد الضعيف، وهم رسل الله المؤيدين بالوحي، فسأجيبك ـ رغم إنكاري دعواك ـ إلى أن:

عنترة المولود عبداً، وصلاح الدين القادم في ليلة بؤس وشقاء والروائي تشارلز ديكنز أعظم أدباء انجلترا الذي سُجن أبوه

مُعظم ما في عالمنا من حقائق عظيمة، واكتشافات مذهلة، وأعمال جليلة، قام بها أفراد مثلي ومثلك، وفي الغالب صدمت آذانهم عبارات من نوع «من تحسب نفسك» !

فترك المدرسة ليعول أمه، كل هؤلاء بدأوا بداية مؤلمة، لم يكن فيها ـ حسب رؤيتنا الضيقة ـ ثمة أمل أو انفراجة.

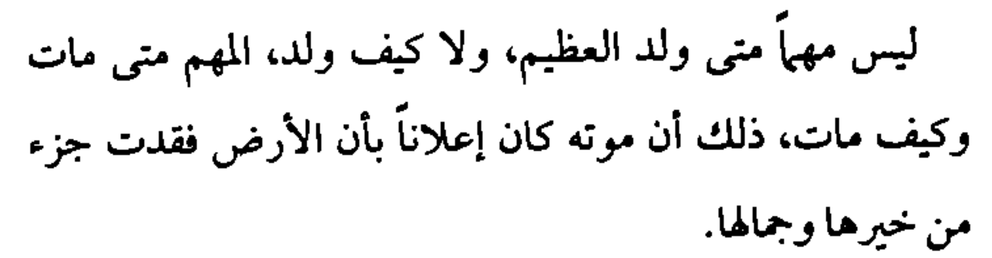


خذ عندك أيضاً أينشتين، واديسون، وهيلين كيلر..

أحسبك تنكر علي إهمالي لأبناء جلدتنا، لا عليك فتش عن بدايات حسن البنا، ومحمد الغزالي، وأحمد ياسين والشيخ الشعراوي..

سأخبرك بمفارقة أتمنى أن تجد لها في عقلك مساحة للتدبر، ذلك أن كُتاب التراجم والسير، كانو وهم يتتبعون حياة العظماء يتوقفون عند أمر عجيب ذلك أن موعد الوفاة لهذا العظيم يكون معلوماً قلما يحدث فيه لبس، بينما تاريخ الميلاد يكون مجهولاً أو غير موثقاً بدقة في كثير من الأحيان، أحسبك عرفت السر ..!.

نعم.. يوم الميلاد يكون يوماً عادياً غير لافت للأنظار، لا يحفظه أحد فقطعة اللحم التي دخلت بوابة الحياة للتو هي كملايين القطع، والروح التي استنشقت هواء الدنيا كغيرها من الأرواح، ومع دوران الحياة تتشكل قطعة اللحم، وتتكون معالم الشخصية، وتتحدد الملامح، حتى إذا ما كان موعد الوداع وقف العالم يودع العظماء إلى مثواهم الأخير حافراً هذا اليوم الحزين في ذاكرة التاريخ.



ليس مهماً متى ولد العظيم، ولا كيف ولد، المهم متى مات وكيف مات، ذلك أن موته كان إعلاناً بأن الأرض فقدت جزء من خيرها وجمالها.

فإذا ما كان مقدمك للحياة لم يكن محاطاً بالأنوار والزينة، فلتجعل يوم وداعك للأرض يوم حزن للعالمين، يوم بهجة لك عند رب العالمين .

إذا لم تستطع أن تتعب قليلاً في حياتك لتكون قدوة وشيئاً مذكوراً فلن تستطيع - للأسف - إلا أن تكون عبرة لمن يعتبر.



3 اقرأ

هي أولى كلمات الله لرجل اصطفاه ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور..

ويتساءل المفكر الكبير خالد محمد خالد في كتابه «الوصايا العشر» قائلا: لو أننا تصوّرنا أحق الكلمات بأن تكون بدء الوحي إلى محمد ﷺ لتصورنا أن تكون: صلِّ.. اعبدْ.. آمنْ..

بيد أن الذي حدث أخلف الظنون، وبهر الألباب!!.

إذ كان أول تكليف تلقّاه الرسول ﷺ من ربه، هو «القراءة».. وأول كلمة ألقيت عليه، هي: «اقرأ»!!.

لقد كانت هذه الكلمة الشريفة «اقرأ» هي الدليل على أن نُصرة، وعزّ، ورقي هذه الأمة مرتبط بالعلم والمعرفة وزيادة الوعي والفهم، وأن انحرافها يبدأ عندما تنحرف بعيدا عن هذه النقطة كذلك.

يؤكد هذا المعنى د. عبد الكريم بكار بقوله:

إن المتابع لتاريخ النموّ الحضاري في الإسلام يلحظ بوضوح أنه كان في تواتره مقترناً دائماً بالقراءة، وحبّ العلم، والشغف بالمعرفة، وكثرة العلماء والباحثين في ميادينها المختلفة، مما لا يدع مجالاً لأي شك في أن الولع بالمزيد من الاطّلاع واصطحاب الكتاب هو أحد الحلول المهمة للأزمة الحضارية التي تعاني منها أمة الإسلام.[1]



إن أروع ما في الكتب أنها تحمل في جوفها خُلاصة فكر، وعصارة تجربة، ومنتهى حكمة، وفيها تسكن أسرار العظمة الحقيقية..

إنّ يدك حينما ترتفع لتلتقط كتاباً فإنها في الحقيقة تستدعي عظيما ليجالسك ويُحدّثك بأهم وأروع وأجمل ما تعلّم وقال وكتب، ولله درّ من يجالس أفذاذ الحياة وروّادها، فيستمع منهم، ويحاورهم، ويتفق أو يختلف معهم، فيخرج من هذه المناقشة وقد اتسع ذهنه، وزاد وعيه، وشُحذت أفكاره وآراؤه فصارت أكثر وضوحا واتزانا.

على أن القارئ الجيد هو القارئ الذي لا يعبّ الكلام عبّا، ولا يطير بين الصفحات بغية إنهائها دون تفكير فيما يقرأ، كما أنه ليس ذلك الشخص الذي يُسلم زمام عقله للكاتب أو المُفكر فيقتنع ويوافق على كل ما كتب، وإنما القارئ الجيد هو القارئ الذي يجلس وقد هيّأ عقله لتدبّر الآراء وتمحيصها

(1) القراءة المثمرة.. مفاهيم وآليات، الدكتور عبد الكريم بكار.



فنراه يقبل مما يجد في الحياة ما يتطابق معه، ويرفض ما لا يستسيغه عقله، ويسأل عما أشكل أو استعصى عليه فهمه.

فالكاتب هو في نهاية المطاف شخص مثلي ومثلك، وهذا الكتاب ما هو إلا فكرة اجتهد صاحبها في جعلها سديدة وصائبة، ربما نقتنع بذلك ونؤمن به، وربما نعارضه ونختلف معه.

إن العظيم يدرك جيداً أن دفتي الكتاب هي التي تحمله إلى غايته، وتجبر كسر جهله الإنساني، وتُكمل بناء عقله..

العظيم هو الذي يقرأ..

بيد أن سؤالا مهما يجب طرحه الآن، ألا وهو:

هل كل من يدير حدقة عينيه على الصفحات قارئ جيد؟

هل القارئ الجيد هو الذي يمتلك مكتبة ضخمة بها المئات والآلاف من الكتب، وتراه ممسكا بكتاب في ذهابه وإيابه؟

والحقيقة أن للقارئ الجيد عدة صفات مهمة اجتهدت في الإمساك ببعضها، وهي:



لا ينمو العقل إلا بثلاث : إدامة التفكير ، ومطالعة كتب المفكرين ، واليقظة لتجارب الحياة . مصطفى السباعي .

أولا: التواضع الفكري

والذي يمنعه من الاستكبار والترفع عن العلم والمعرفة.. العظيم يدرك جيداً أن الحكمة لا تُخرج نبتها إلا لمن مهّد تربة عقله بفأس التواضع، حيث تقع البذرة فتجد قبولا وحفاوة من العقل، فتهيج بثمار حلوة نضرة من الأفكار والأطروحات القيمة العظيمة.

وحينما يشعر القارئ منا بكفاية مخزونه الفكري والثقافي، وبعدم حاجته للقراءة، فإنه في الحقيقة يقف على حافة التردي والانهيار.

ثانيا: القدرة على التحليل والاستنتاج

من السيئ أن نقبل ما نقرؤه دون أن نُعمل فيه العقل فإذا ما قرأت رأيا أو فكرة مثلا، فيجب أن أقف عندها لأهضمها، وهذا الهضم يكون بُعصارة الخبرات السابقة سواء التي حصلناها بالقراءة، أو من تجارب الحياة مِن حولنا.

لا تقع تحت سحر بيان كاتب، مهما كان اسمه، احفظ له مكانته التي حصّلها بتْعبه وجهده، ومع ذلك دعْ ذهنك يأخذ، ويدع، ويقبل، ويرفض.

ثالثا: القراءة المُنظمة

ليس من يقرأ كل ورقة تقع تحت عينيه هو القارئ الجيد، لكنه الذي يقرأ



"إذا شعرت وأنت تقلب الصفحة الأخيرة في الكتاب الذي تقرأه أنك فقدت صديقاً عزيزاً فاعلم أنك قد قرأت كتاباً رائعاً"... بول سويني.

بشكل مُنظّم مُرتّب، وأقصد بالتنظيم أن تُقسم قراءتك على مُجمل اهتماماتك وتخصصك، فتعطي المساحة الأكبر من قراءتك للمجال الذي تخصصت فيه، والمساحة الأقل للأشياء الأقل.

على سبيل المثال لو كنت داعية فيجب أن تصرف الجزء الأكبر من قراءتك في كتب الفقه، والدعوة، والتفسير، بعدها تعطي لكتب الاقتصاد، والسياسة، والاجتماع مرحلة أدنى، يجب عليك أن تصرف جهدك في القراءة نحو الكتب التي تزيد من رصيد خبرتك ووعيك في مجال عملك وتخصصك، بعدها تتجه إلى باقي العلوم الأخرى، فتقرأ فيها ما يمثل لك رصيدا جيدا يسمح لك بالتواصل والاندماج مع أصحاب الاهتمامات الأخرى، وكذلك يزيد فهمك للحياة باتساع جوانبها وأنشطتها.

والقراءة المنظمة تستدعي منك شيئا مهما ألا وهو إيجاد هدف لقراءتك.

فإذا كان هدفك الارتقاء والتميز والعظمة، فستجد نفسك مدفوعاً إلى تنظيم قراءتك بالشكل الذي قلناه سابقا.

إذا لم يكن لقراءتك هدف وكانت فقط لمجرد تسلية وقتك فستقرأ فقط ما تُمتعك قراءته بغضّ النظر عن الفائدة المرجوّة منه.

رابعا: القراءة سلوك

القارئ الجيد من يجعل القراءة سلوكا حياتيا؛ إذ لا بد من أن يكون له واجب من القراءة يسعى لإنهائه، مهما كانت الدقائق التي وضعها للقراءة قليلة، إلا أنه يحافظ عليها، ويستغلها بالشكل الأمثل.



يدفعني هذا للتأكيد على تجربة رائعة ومثمرة وهي استغلالك الذكي للأوقات الضائعة، وأقصد بها تلك الأوقات التي تقضيها في انتظار طبيب، أو في وسائل المواصلات مثلا.

يمكنك اصطحاب كتاب جيب صغير، فتنتهي منه خلال هذه الأوقات التي في الغالب تضيع دون استثمار جيد لها.

خامسا: التركيز على الكيف لا الكم

القارئ الجيد لا يتفاخر بكثرة ما قرأ، بل بقدر ما يجتهد في فهم ما قرأ والخروج منه بفكرة أو وجهة نظر خاصة به.

للأديب «عباس العقاد» كلمة رائعة في هذا الجانب يقول فيها: أن تقرأ كتابا جيدا ثلاث مرات، أفضل لك من أن تقرأ ثلاثة كتب جيدة مرة واحدة.

والفائدة هنا هي أنك بالتكرار تستطيع معانقة الفكرة والغوص في ذهن

الكاتب، هنا لا بد من التنويه على شيء مهم وهو أن هناك كتبا خفيفة لا يلزم لك إعطاؤها وقتا كبيرا كالروايات وكتب الثقافة العامة والجرائد وغيرها، بينما الكتب الفكرية والعلمية هي التي تستحق منك التعمق والتركيز.

أنا هنا أتحدث عن وجوب الغوص إلى عمق الفكرة، فإذا كنت قادرا على القراءة بسرعة والفهم بسرعة فيا حبذا، أما إذا كنت غير قادر على الاثنين معاً، فلا تهتم بالإنجاز الكبير في العدد، وركّز على المعاني والمفاهيم والعمق.

سادسا: القارئ الجيد هو من يتحدث عما يقرؤه مع الآخرين

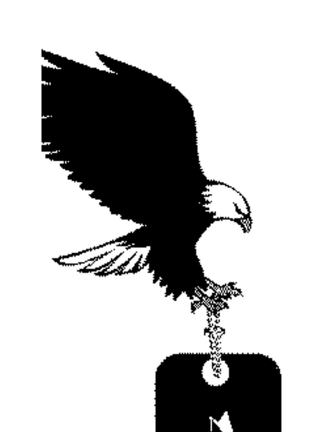
أثبتت التجربة أن وعيك وفهمك وإدراكك يزيد بشكل كبير جداً في حالة أن شرحت وتكلمت حول ما تقرؤه أو تدرسه؛ حيث تخرج الفكرة من رأسك فتتشكل في رسالة نصية على لسانك فتقابل أذنا وعقلا آخر (وهو المستمع) الذي ربما يوافقك ويزيدك إيضاحا، أو يخالفك ويضيء لك جانبا آخر من الفكرة لم تنتبه له، في النهاية ستجد أن حديثك عما تقرؤه قد رتب المعلومات في ذهنك بشكل جيد، ووضعها في أطر مُنظّمة، تؤهلك لاستدعائها بيسر لتستفيد منها في حياتك.



إن الشخص الذي يطمح في العظمة يضع نُصب عينيه أن يكون قارئا جيدا وهذا لن يكون إلا بعدما يتأكد من أن على عاتقه مسئولية التفكير فيما وراء قطعية الكلمات المكتوبة أمامه، وعدم القبول المُسلم به للأفكار المطروحة، بل عليه أن يكون يقظ الذهن نشيطاً، دائم التساؤل والملاحظة على ما يقرأ.

إشراقة

القارئ السيئ نوعان: نوع يقرأ دون تدبّر ويقبل ما يقال له باستسلام مُطلق، ونوع يقرأ ليقع على الأخطاء والزلات والهفوات، فيمضي مختالا بذكائه، معتزا بقدرته في اصطياد الأخطاء.



4 | الحب هو القضية الكبرى

بنظرة عميقة يمكننا التأكيد على أنه ما من عظيم، ولا نبيل ولا قدوة، إلا وكان يملك بداخله حباً جارفا للبشرية، دفعه دفعا لنجدتها والسهر على التفكير في كيفية إنقاذها.

الحب الذي لا يمكن أن ينبع إلا من نفس تحب نفسها، وتقدر ذاتها، وتؤمن بنبل ما تحمل..

نعم حب ينبع من نفس تحب نفسها!

لا عجب، فإنها تحب نفسها حبا ينطلق من تقدير شخصي واستشعار قوي بأنها صنيعة رب عظيم، أتى بها لهدف مهم وكبير.

قالوا قديما: فاقد الشيء لا يعطيه..

فلا بد إذن قبل أن ننطلق لننشر على الناس باقات الحب والخير أن نملأ قلوبنا حباً وخيرا..

وأول نضوح لهذا الحب يجب أن يكون ذاتيا، يجب أن توجّهه لروحك ولنفسك..

هل لديك أرشيف من الذنوب، وسجلّ ممتلئ بالخطايا، وتاريخ مؤلم من السقطات؟

لا عليك.. ولماذا جعل الله الاستغفار والتوبة إذن؟؟

صدّقني كل هذا لن يعوقك في طريق اكتشاف عظمتك، وإعادة تأهيل مواهبك وقدراتك لتصبح في خدمة الخير..

صدّقني..

إنك يا صاحبي شخص جميل.. شخص رائع.. شخص طيب وعظيم.

مهما كانت أخطاؤك وهفواتك وزلاتك، إلا أن الخير الذي بداخلك والذي يقضّ مضجعك دائما لتكون رائعا وعظيما سينتصر.

وكأني بك تقول: لكن تاريخي المؤلم يطاردني، وهفواتي تشوّش الرؤية أمام ناظريّ، وشياطين الإنس والجن تسحب الأرض من تحت قدميّ..

وأردّ عليك بقولي: ليكن!

مهما حاولت قوى الشر من حولك عرقلتك عن بلوغ هذه المنزلة، ستبلغها برصيد الخير الذي بداخلك، ستبلغها باستغفارك الدائم، وإنابتك المستمرة



وركونك إلى جنب الله حتى وإن بعدت عنه لفترة أو فترات..

اربت بيد حانية تحركها مشاعر الحب على نفسك الجزعة، ثق في نفسك، ثق في مخزون الحب والخير الذي بداخلها..

املأ خزان قلبك بالثقة، والحب، والتفاؤل... فتلك هي الخطوة الأولى..

وقلّب نظرك في سِيَر العظماء.. ستجد أن شعاع العظمة لديهم لم ينطلق إلا من روح مليئة بالقوة والتفاؤل والحب، مِن تصالح مذهل مع الذات، وتقدير خالص لها، وعلى العكس، ما من طاغية ولا شرير إلا وستفجئك مساحة الظلام بداخله، وخراب لا يمكن تصوره بقلبه، ونزوع للعظمة المتوهمة التي يداري بها في الغالب استهتارا واستخفافا شديدا بالذات.



بالحب يا صاحبي سنواجه شركاءنا في الحياة، وبه سنواجه خصومنا كذلك!

وقف صحابة النبي يوما متألمين مما ينالهم من طغيان قوى الشر ثم قالوا لنبيهم ﷺ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ؟ فقَالَ لهم: إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً.[1]

والرحمة لا تنبع إلا من قلب.. يحب، ويرفق، ويعذر، ويتغاضى، وينسى.

هل تحب أن تكون عظيما يا صاحبي؟

عليك إذن أن تدفع بعضا من ضرائب العظمة، وأولاها أن تكون نوازع الخير والحب بداخلك أقوى وأكبر من نوازع الشر في نفوس الآخرين..

أن تحب من زهد الناس حبهم هو الدليل على أنك.. إنسان..

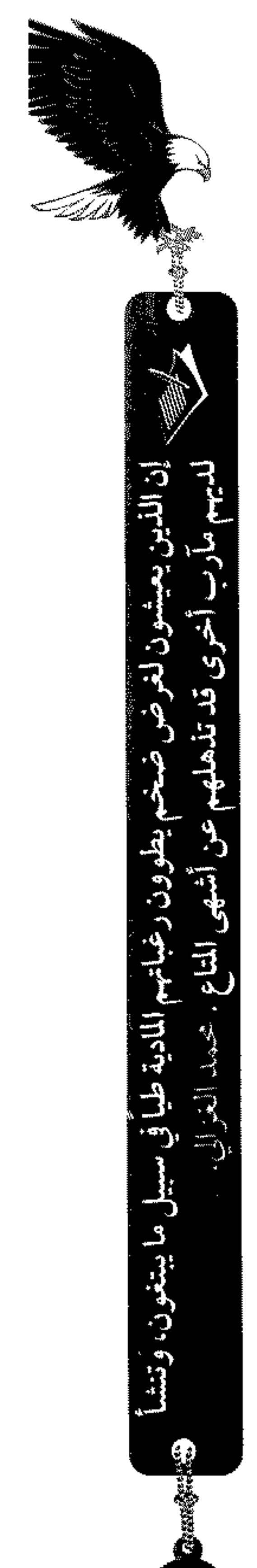
أن تحنو على العصاة المذنبين..

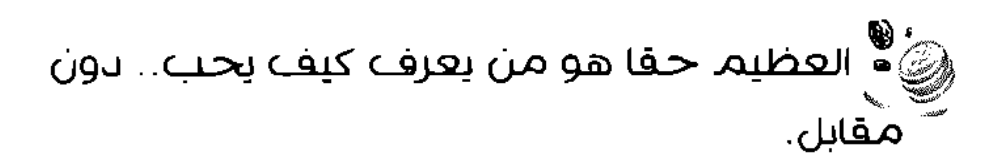
أن تحنو على من تلوثوا في مستنقع الرذيلة والسوء والشر..

أن تحمل همّ إجلاء الغبار الذي تُخلّفه الحياة بشراستها على القلوب لتكتشف الجواهر المخبوءة في نفوس بشر لم يكن أحد يتصور قط أن بها بقية من خير..

ليس بالشيء الكبير أن تحب من يحبك، أن تحترم من يحترمك، أن تجالس من هذّبته المدرسة، وربّاه أبواه، وتعهّدته الأيام بأحسن أحوالها!

إنما الشيء الكبير حقا أن تهبط إلى الأرض غير مبالٍ بما فيها من أوساخ، أن تشمّر السواعد، وتمضي بخطوات واثقة؛ لتنقذ هذا وذاك ممن لا يلتفت إليهم أحد.

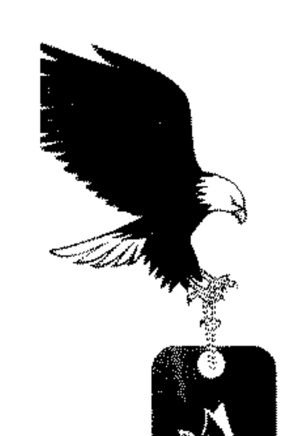




كيف يعطي دون انتظار لثمن..



كيف يطالع كتاب الحياة فيختار أشده فصوله بأسا، فيتوكل على ربه، ويشمّر عن ساعد جدّه، ويوقظ ذهنه، ويلهب عزمه ليفكّ طلاسمه، ويقرأه للناس..



5 آمن بقضيتك أولا

قلت سابقاً وأكررها : لا بد من أن نؤمن بقضية عظيمة حتى نكون أشخاصا عظماء.

أن يكون لدينا مشروع نعمل له، فكرة سامية نضحي من أجلها، غاية عظمى نشد الخطو نحوها..

لا ينبغي أن تقوضنا حبال الأنانية وحب الذات، فنعيش لأنفسنا وحسب..

أن تكون عظيما حقا فيجب أن تنصر قضايا عظيمة تلمس الناس، وترتقي بالبشرية.

وبصراحة أحب أن أؤكد على أن إيمانك بهذه القضية الكبيرة **يجب أن يتعدى فقط مجرد «اهتمامك بها» !.**

يقول الفيلسوف الإنجليزي «جوان ستيوارت»: فرد واحد مؤمن بشيء يفوق في قوته 99 من المهتمين به فقط.

إن هناك شيء يشبه المنطقة الرمادية التي لا يمكنك تميزها



بوضوح، وهو أنك قد تعتبر نفسك مؤمنا بقضية لمجرد أنك مهتمّ بها!.

قد تدافع، وتجادل، وتناقش.. لكنك قد تختفي حينما تحين لحظة الاختبار.. لحظة دفع ثمن ما تدافع، أو تناقش، أو تجادل من أجله..

عندما يأتي زوار الليل، أو توضع تحت سهام النقد، يمكنك أن تختفي تقصف قلمك، تُسكن حركتك، تُخفض صوتك.. أنت لست مؤمنا بالقضية بالرغم من تأكيدك مرارا بأنها قضيتك.

وكلّ يدّعي وصْلاً بليلى وليلى لا تقرّ لهم بذاكَ

جيد أن تهتم.. لكنك يجب ألا تدّعي الإيمان..

وذلك لأن الفرق بينهما عظيم يا صاحبي..

من الجيد أن تكون نفرا في جيش الصلاح، يزيد بك سواده، وتصنع زخما مهما في تأكيد قوته ووجوده وعنفوانه، وهذا يكون بنقلك للأفكار، والترويج لها، وبثّها، والدخول في نقاش عن أهميتها وعظمتها، لكن هذا كله - رُغم أهميته - لا يرتقي لدرجة الايمان المُطلق، الذي هو مرتبة عليا من إرخاص كل شيء عظيم ومهم وحيوي من أجل الفكرة.

أي عبقرية تلك التي تجلّت في إجابة أمنا «عائشة» - رضوان الله عليها - وهي تصف زوجها النبي ﷺ بأنه كان «قرآنا يمشي بين الناس».





بوضوح هي تقول إن محمدا ﷺ كان هو الفكرة، كان الصياغة الحقيقية لكل ما يدعو إليه.

مدهش كذلك «سيد قطب» وهو يصوغ هذا الأمر بقوله:

«آمِن أنت أولا بفكرتك، آمِنْ بها إلى حد الاعتقاد الجاد! عندئذ فقط يؤمن بها الآخرون»، ويضيف قائلاً: «كل فكرة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان! أما الأفكار التي لم تطعم هذا الغذاء المقدّس فقد وُلِدت ميتة، ولم تدفع بالبشرية شبرا واحدا إلى الأمام»!.

الإمام «البنا» كان - كعادته رحمه الله- دقيقا جدا في كلماته، فأكد أن انتصار الفكرة لا يكون إلا بعدة شروط؛ أهمها «الإيمان بها» فيقول: «إنما تنجح الفكرة إذا قَوِي الإيمان بها، وتوفر الإخلاص فى سبيلها، وازدادت الحماسة لها، ووُجِد الاستعداد الذي يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها».

يأتينا كذلك مُنظّر النهضة الكبير «مالك بن نبي» بتوكيده أن العظيم صاحب القضية يجب أن تكون لديه دعامتان مهمتان وهما:

«الاقتناع والإقناع، فالاقتناع يعني أن يقتنع بالفكرة أشد اقتناع وأما الإقناع فهو أن يسعى إلى إقناع الآخرين بما يملكه من اقتناعه للفكرة، وبذلك يمكن له أن يؤدي دوره الحضاري».

لن يمكننا إقناع الآخر بفكرة كل ما يربطنا بها أنها جيدة، أو أنها مهمة أو لا بأس بها..

إذا كنت مهتما بالشأن الداخلي المصري فسيمكنك أن تلحظ المأزق التي



وجد «الليبراليون» و«العلمانيون» أنفسهم فيه بعد ثورة 25 يناير؛ لتدرك ما أدركوه من أن التنظير وشلال المقالات، والبرامج التلفزيونية الكثيرة والصحف المتنوعة، لم تكن سندا لهم في إقناع الشعب بالفكرة التي يحاولون التسويق لها، وظهر جليا أن هناك فجوة هائلة بينهم وبين الناس، برّرها بعضهم بأنها تعود إلى أن الناس «لا تعرف مصلحتها جيدا»!.

والحقيقة التي لا يعيها سوى أصحاب الدعوات الحقيقية هي أن للأفكار العظيمة وهجا، يجب أن يصل للآخر، يجب أن يشعر بحرارته في حديثك وكلامك وسلوكك قبل أن.. يُصدّقك!.

عفواً.. أنا أشعر بأحدهم يجذبني إلى الخلف قليلا، ينادي عليّ قائلا:

«لقد خدعتني.. ظننت أنك ستتحدث عن كيفية نصر وتسويق فكرة ما لكنني أراك تذهب بي إلى دعوتي لفكرتك، أنت تدعوني للإيمان بفكرة ما بعينها، قد ظهر من حديثك أنك متيم للفكرة الإسلامية، هبْ أنها لا تصل إلى مستوى قناعتي، هبْ أني مسلم موحّد لكنني أؤمن بغير ما تؤمن به مما يحتمل الاجتهاد الفكري»؟؟.

وها أنا أقول: إنه حقك يا صاحبي الذي لا يمكنني أبدا إنكاره عليك، بل إنني أرفض أن أملي عليك طريقا بعينه، ولم أقصد هذا مطلقا.

وذلك لإيماني بأن الأفكار العظيمة أكثر من أن أدفعك لأن ترى واحدة منها فحسب.

أنا أؤمن بالفكرة الكبيرة، الفكرة الإسلامية، تلك التي ترى أن الإسلام يسع الحياة بكل مفرداتها وتفاصيلها ربما تأخذ أنت مفهوما واحدا وتجعله قضيتك.. الفقراء وآلامهم، المظلومون وأناتهم، الحضارة وكيفية صناعتها، الموارد البشرية وطرق تنميتها...

ربما تهب حياتك للربت على كتف المساكين والتخفيف عنهم أي قضية إنسانية هي غاية شريفة في حد ذاتها، يدفعني هذا للتنويه عن مفهوم آخر في غاية الأهمية وهو أن اختلاف الأيدولوجيات والأهواء لا يمنع أبدا من أن نضع أيدينا في يد من يشاركنا هدفا ساميا ونبيلا، بل حتى وإن اختلفت عقائدنا ومللنا.

يرسّخ هذا المفهوم نبيّ ﷺ بحديث يتجاوز حدود العبقرية فيحكي كيف أنه شهد وهو صغير حدثا فريدا؛ وهو تأسيس تحالف هدفه الأساسي هو ردّ المظالم، وإعادة الحقوق، والوقوف في

وجه الجبارين، فيقول: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دعيت به في الإسلام لأجبت».

المثير للدهشة تصريحه الأخير ﷺ وهو أنه لن يجد غضاضة أبدا في الدخول في أي تحالف من شأنه أن يُعلي قيمة شريفة هي أصل من أصول دعوته، بغضّ النظر عمن أطلقها أو دعا إليها...

المهم هو قيمة الفكرة وقوتها وعظمتها.. ونُبلها.

أعود لحديثي عن إيمانك بالفكرة وأقول إن إيمانك بالفكرة النبيلة يتيح لك عدة نقاط مهمة، وهي:

أولا: الحماسة

لا يمكن أبدا أن تتحمس لقضية لا تؤمن بها، لا يمكن أن تكون كلماتك حارة، وروحك مُتسعة، وقلبك مفعما بالطاقة إن لم تكن دوافعك كبيرة.

نبينا محمد ﷺ كان لديه من الحماس ما جاوز كل الحدود، بل إن الله -جلّ اسمه- قال مخففا عنه ﷺ:

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾

ومعنى «باخع» أي: تجهد نفسك في دعوة قومك إجهاداً يهلكها، فكانت تهدئة وتخفيفا من ربنا على نبيه.





إن الإيمان بالفكرة يولّد حماسة في التسويق لها، وطرحها وإكسابها نوعا من الحياة والحركة.

ثانيا: إيمانك بالفكرة يدفعك إلى الإلمام بها

ومحاولة معرفة نقاط قوتها، والتعرف على الانتقادات التي توجه لها، فإيمانك بشيء يدفعك إلى الغيرة عليه، ومن ثم محاولة الذود عنه، وهذا لن يكون سوى بالتعرف على الجوانب المختلفة لما تؤمن به، والغوص في تفاصيله، والبحث عما يمكن أن يقويه وكيفية الرد على ما يمكن أن ينال منه، سيدفعك لأن تقرأ، وتفهم وتبحث، وتسأل.

الإيمان لا يكون كاملا إلا بالعلم، ورحم الله من قدّم الفهم على الإخلاص وهو يربي أتباعه، فجعل العقل النير قائد للقلب المخلص، فعاشت القضية رغم ما نالها من أذى واضطهاد.

ثالثا: الصمود..

أعني هنا قوتك وصمودك أمام العقبات التي بلا شك ستواجهك وتحاول النيل منك ومن فكرتك، مهما كانت فكرتك نبيلة فستجد من يسفّهها، ويحاول دحضها، وتخويف الناس منها ستجد من يشكّك في نواياك، ويتهم ضميرك، ويترجم كل سلوك منك على أنه نابع من غاية أخرى غير ما تُظهر، ولن تستطيع

الصمود أمام كل هذا سوى بقوة إيمانك بالفكرة، فحينها ستستشعر أن كل ما تلاقيه من بلاء وإيذاء هو الضريبة التي تدفعها من أجل كونك إنسانا عظيما وأنه من حق فكرتك عليك أن تتحمل من أجلها الشيء الكثير.

رابعا: الأمل..

الإيمان دائما قرين بالأمل والتفاؤل، من يشكّك في انتصار قضيته يحتاج إلى أن يقوي إيمانه بها أولا، وبالنظر إلى أصحاب الرسالات نجد أنهم في أحلك الأوقات وأقساها وأشدها ابتلاء لم يتزعزع يقينهم بالنصر قيد أنملة، بالعكس هم من يثون الأمل للآخرين، هم من تتعلق بهم العيون، وتتماسك برؤيتهم الأفئدة، وتطمئن عند سماع أصواتهم القلوب.



6 راقب حظّ نفسك

بلية البلايا لأصحاب القضايا العظيمة أن يدخل هوى النفس لقلوبهم، أن يشوب صفاء النية غبار الـ «أنا».

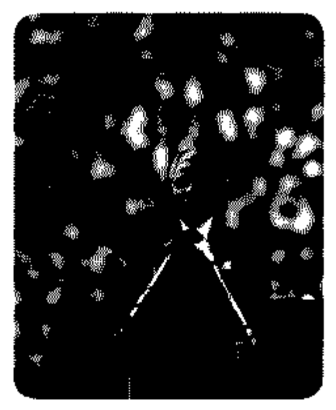
شيء يستحق المراجعة الفورية أن يغلب حظّ النفس على حظّ المشروع أوالفكرة، أن تكون كلماتنا العظيمة تخدم غاية صغيرة أو هدفا خفيا، أو تروي عطشا محدودا.

إن الانتصار للقضية التي نحملها يتطلب جهدا كبيرا لا أقول في تغليب حظّ القيمة التي ندعو لها على حظّ النفس، وإنما في مراقبة النفس ومعرفة الوقت المناسب لإرجاعها إلى منطقة التجرّد الكامل؛ وذلك لأن أهواءنا خوّانة، تفاجئنا وقد احتلت منطقة كبيرة من روحنا، وبدأت في إلقاء أوامرها، والتي ترتدي غالبا أثوابا براقة لامعة.

لذا عندما ننظر للخلف سنجد أن كثيرا من الدعوات الكبيرة كان على رأسها شخص مُلهم، قادر على أن يعلو بالفكرة دائما

ويصنع من امتزاجه بها معنى تفرده وقوته، فيكبر بكبر الفكرة، ويعظم بعظمتها، فيضيع حظّ نفسه وينتهي.

إن هؤلاء العظماء ومع عظمتهم لم يكن في أذهانهم وهم يؤدّون دورهم في خدمة البشرية وإنقاذها، أن يضعوا أنفسهم في مكان مميز، إنهم لم يطلبوا الريادة أو يسعوا إليها، إنهم بذلوا من أنفسهم ما وجدوا أنهم مطالبون ببذله، وعندما انتهت مهمتهم وضعهم التاريخ في ذلك المكان البارز المميز دون حرص منهم ولا صلف!.



ترى ذلك جليا في العظيم محمد ﷺ والفذّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كما تراها في سيرة الإمام «حسن البنا»، وفكر «المهاتما غاندي»، وبساطة وهدوء «نيلسون مانديلا»...

كان كل من هؤلاء ممزوجا بالفكرة كلية، سواء كانت فكرة المساواة، او العدل، أو نبذ الظلم، أو العلوّ بالقيم الروحية، وتُرجم ذلك إلى سلوك مُلهم للتاريخ يمكنك رؤيته بجلاء عندما ذهب النبي ﷺ ليدعو أهل الطائف فأهانوه وعندما أتاه ملك الجبال يستأذنه أن يطبق عليهم جبلين فينتهي وجود هؤلاء الطغاة، يكون ردّ النبي، والذي أذهب حظّ نفسه وحقها تماما: «**لا لعل الله يُخرج من أصلابهم من يوحده**».



كذلك عمر بن الخطاب، والذي إن عدنا إلى فترة ما قبل إسلامه نرى رجلا غليظا صعب المراس، ذا أَنَفَة وعزّة، دفعت أحد المسلمين للتجاوز بقوله: «والله لا يُسلم عمر حتى يُسلم حمار بن الخطاب!».

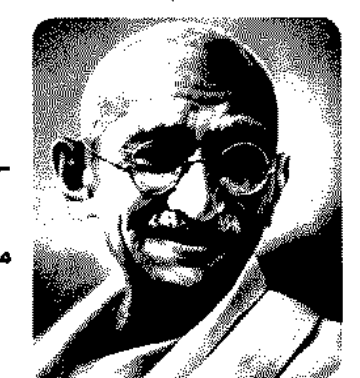
هذا الرجل لم يجد غضاضة في أن يقف على المنبر قائلا: «أيها الناس، لقد رأيتني وأنا أرعى غنم خالات لي من بني مخزوم نظير قبضة من تمرٍ أو من زبيب»، ثم نزل عن المنبر، وعندما عاتبه أصحابه قال لهم موضحا: «إني وجدت في نفسي شيئا فأردت أن أطأطئ منها».

إنها مراقبة حظّ النفس وقتله قبل أن يُعلن عن نفسه، ولعل هذا ما دعاه ذات مرة لأن يعيد المغيرة بن شعبة إلى أصل الفكرة، وذلك عندما قال له شعبة: أنا بخيرٍ ما أبقاك الله، فيرده عمر: أنت بخيرٍ ما اتقيت الله، فليس الأمر أمر عمر.. فمَن -أمام عظمة الفكرة- يكون عمر؟؟.

دعنا نتخطى حدود تراثنا وننظر لغاندي، الذي لم ترُقْ دعوته إلى الحرية والتسامح ونبذ العنف للبعض، وكان مدهشا أن الرجل الذي لم يحمل سوى الدعوة إلى التسامح يموت قتيلا بعد ست محاولات اغتيال فاشلة، هذا الرجل الذي قُتل بسبب دفاعه عن

لقد أصبحت مقتنعا كل الإقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها إكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذالك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود. غاندي

اضطهاد الهندوس للمسلمين على يد رجل هندوسي يقول: «ليس عندي ما أعلّمه للعالم؛ فالحقيقة واللاعنف موجودان منذ بداية الأزمنة».



هذا التجرّد المذهل الذي يمنعه من القول حتى بأن حياته بها أي شيء يستحق أن يتفاخر به، وأنه ليس أكثر من فرد في كيان فكرة عظيمة.

التجرّد هو الذي صنع نجاح حركة المقاومة الشعبية «حماس» في العزيزة فلسطين، هو الذي أبقاها بعد موت الأب الروحي الشيخ أحمد ياسين، وخليفته د. عبد العزيز الرنتيسي، وغيابه هو الذي ألحق الخسارة والفشل بتجربة «البشير – الترابي» في السودان.

التجرّد هو الذي نهض بماليزيا، وتركيا، وعدم وجوده هو الذي ألحق الخسارة بكثير من التجارب المماثلة في دول عدة من حولنا، وعجّل بربيع الثورات العربية.

إن التجرّد للفكرة يحفظها من علل النفس الإنسانية، يجعلها شفافة، راقية قادرة على خطف الألباب والعقول، كما أن تجردنا يجعلنا أكثر حنوا في التسويق لها، يقول ربنا –جل اسمه– لنبيه ﷺ :

«قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذّبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون».

إنه الحزن النبيل، الحزن لبُعد المسافة بين الناس وبين الحق



حزن وليس غضبا، ولا حنقا، ولا تذمّرا، إنه التجرّد يا صاحبي الذي يدفعك لأن تسعد وتفرح حينما تنتصر الفكرة، وتحزن وتتّهم نفسك حينما يتأخر النصر، وليس للمشاعر السلبية الأخرى مكان في قلب الشخص المتجرد المُخلص لفكرته ومشروعه.

التجرّد هو الذي يجعل المرء منا خادما لفكرته، طائعا لها واضعا نفسه طوع أمرها، رجلا وصفه النبي ﷺ بقوله: «طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع».[1]

أعود إليك يا صاحبي العظيم وأقول إن تجردك من حظّ نفسك، ورضاك بالدور الذي يُطلب منك -مهما بدا بسيطا- هو وحده طريق النصر والتميز.

هو الذي يجعل منك صانعا عظيما، لفكرة عظيمة، ويطير بك إلى مكانك الذي تستحقه في الدنيا.. والآخرة.

العقائد إنما تنتصر بالمتجردين الأوفياء، الذين إن حضروا لم يُعرفوا وإن غابوا لم يُفتقدوا، ربما تنساهم الحياة، لكن الله ذاكرهم بالغدو والآصال. محمد الغزالي.

(1) رواه البخاري.





7 | احذر أن تكون المحامي الفاشل

قضيتك تحتاج لمن ينصرها، تحتاج لمحامٍ ذكي، نابه، قادر على أن يُضيء جوانبها، ويُخرج أفضل ما فيها، وكذلك إلى من يدافع عنها ويدحض أي قول أو سلوك أو حملة تريد أن تنال منها.

واجب الدعوات على أصحابها أن يكونوا لها جنودا، حاضرين دائما، أعينهم منتبهة، حواسهم متيقظة، جاهزين دائما للدفاع عن حياضها، بل والتضحية من أجلها إن استدعى الأمر.

تأتي المشكلة غالبا من أن نكتفي بالنوايا الحسنة ونحن ندافع عن القضية، دون أن نضع في أذهاننا الطريقة أو الأسلوب المتَبَع المصريون في شعبياتهم يؤكدون أن «الحصول على الحق حِرفة»، فلا يكفي أبدا أن يكون الحق بجانبك كي تنتصر، أنت بحاجة إلى وعي وذكاء وهدوء نفس، وكثيرا ما تحتاج إلى تخطيط وتنظيم وترتيب أوراق.

إن الدعوات قد تُبتلى بمريديها إذا ما كانوا ذوي أفق ضيق

وعقل متعصب، وذكاء محدود؛ ذلك لأن الناظر لدعوة ما لا يمكنه أن يخلعها من أتباعها، العقل بشكل عام لا يقبل أن يفصل بين المنهج والتطبيق، أنت ما تفعله لا ما تقوله، ربما سيتأثر الناس إذا ما رأوك تتحدث عن الإنفاق، لكنها ستحترمك حينما تراك وأنت تبذل وتنفق، سيكون هذا السلوك أقوى برهان على صدق حُجتك، ربما لهذا السبب أثنى ربنا -جل اسمه- على صدقة العلن في موضع من القرآن بقوله:

إن تُبْدُوا ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ سورة البقرة (271)

فوق هذا فإنه في زمننا الحديث لم يعد للتنظير فائدة كبيرة؛ خصوصا إذا ما كانت القدرة الإعلامية للحق تحاصرها أبواق شتى وضخمة للباطل، مما يعني في الأخير أننا أمام كل ما قد نواجهه من تحدٍّ وصعوبة ومحاربة ليس لدينا سوى طريق رئيسي مهم وهو **«المخزون الأخلاقي»**.

ذلك المخزون الذي نحتاجه بشدة أمام أي تشكيك في نوايانا وقدراتنا ودوافعنا، ليذبّ عنا بقوة، بينما نحن نعمل في صمت وثبات.

ربنا -سبحانه وتعالى- يخبر نبيه ونحن من بعده إلى أمر مهم وهو أن بشاشة الوجه، وحلاوة اللسان، وطلاقة الأسارير أحد أهم مفردات الإقناع والتأثير ضع فوقها الكلمة الطيبة، والجدال بالتي هي أحسن، يقول ربنا - جل اسمه- مؤكدا أن:



وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ سورة آل عمران (159)



هل الأمر بتلك الأهمية؟؟ نعم.

يقول الإمام علي بن ابي طالب رضي الله عنه: «وكم من أكلةٍ منعت أكلات».

وعليه أقول: وكم من سقطة أنهت دعوات، وكم من كلمة أطفأت مصابيح للحق والنور...

فقبل أن يستعذب المرء منا طعم الشيء يجب أن ينتبه إلى أن مذاق بعض ما تشتهيه النفس قد يكون فيه هلاكها ونهايتها!.

وقبل أن يرمي من فمه الكلام مدراراً، فليتوقف وليراجع حروفه قبل أن تخرج من فمه فترديه، وتردي دعوته معه.

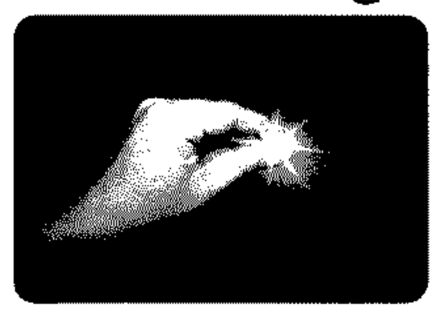
نيتشه الفيلسوف الألماني يُحذر كذلك من أننا:

«كثيرا ما نرفض فكرة ما لمجرد أن النبرة التي قيلت بها تثير النفور»؛ وذلك لأن البشر مخلوقات عاطفية، تؤثر فيهم الكلمة الطيبة، واللفتة الإنسانية الرقيقة، وتنفرهم اللهجات المتعالية المتغطرسة، أو الاستخفاف والاستهتار البادي في الحديث، أو الظاهر على قسمات الوجه.

ذات يوم كان المُعلّم الأول للبشرية محمد ﷺ يجلس بين أصحابه حينما دخل عليه رجل يتقاضاه (أي يعترض على شيء ما) فأغلظ له (أي قال كلاما فيه شِدّة) فهمّ أصحاب النبي أن يزجروه، فقال لهم ﷺ : «دعوه فإن لصاحب الحق مقالا».[1]

وتالله ما كان الرجل بصاحب حق، وليس له أن يُغلظ على أعدل البشر، لكنها عظمة النبي الذي يحمي رسالته بتوفير مناخ من حرية النقد، والتقييم، وقبول الرأي الآخر، حتى وإن كان آتيا من الجندي إلى القائد، أو العامة إلى الرئيس.. ولهذا انتصرت دعوته.

محامٍ فاشل.. كل من ينتمي لفكرة عظيمة أو نبيلة فيتعصّب، ويحتدّ ويسمح لعواطفه أن تنطلق وتندفع، وللسانه أن يطيح بمخالفيه ومعارضيه.



محامٍ فاشل.. ذلك الذي يظنّ أن الأفكار العظيمة تُعبّر عن نفسها بنفسها، ولا يدرك أن عليه دورا محوريا في تمهيد العقول لقبول الفكرة -مهما كانت عظيمة- وإضاءة الأنوار من حولها ليظهر جمالها وروعتها.. مهما كانت واضحة جلية.

محامٍ فاشل.. من لا يرتدي لباس البائع وهو يُسوّق لفكرته، فيظهر جمالها ويتحمّل سخافات «الزبائن» بابتسامة هادئة، ولا يجد غضاضة في أن يبتسم

(1) رواه البخاري.



كذلك إذا ما أعرض الآخر عن اقتناء سلعته، بل يودّعه بهدوء متمنيا فرصة أخرى في موعد قريب!



والمحامي الناجح، هو الذي يدرس قضيته جيدا، يعرف مصادر قوتها ومواطن الحق فيها، فيكون أشد حلما وهدوءا، فلا ينفعل أمام الاتهامات الجائرة، بل يشرح، ويُفصّل، ويعرض، ويترك العقول لترى وتفكر..

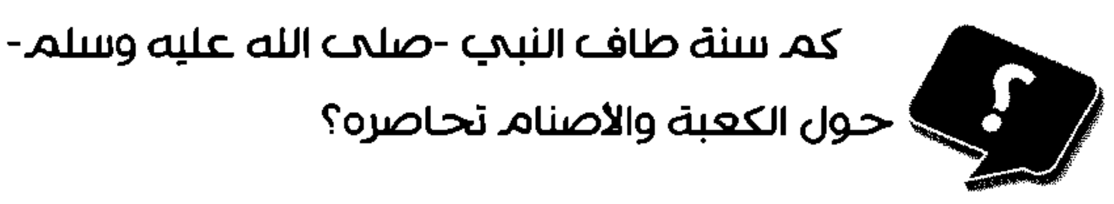
صلاح المؤمن أبلغ خطبة تدعو الناس إلى الإيمان، وخلقه الفاضل هو السحر الذي يجذب إليه الأفئدة. محمد الغزالي.

8 لا تستعجل قطف الثمرة

من آفات الحركات الإصلاحية «استعجال النتائج»، ومحاولة القفز على الخطوات التمهيدية، وعدم الوعي بأهمية المراحل الأولى، والخطوات الصغيرة البسيطة الأولية.

والعظيم صاحب الرسالة عليه أن يعي أمرا في غاية الأهمية، هو أن واجبه تجاه الفكرة التي يؤمن بها أن يعطيها من جهده وروحه كي تنمو الفكرة ويكبر المشروع، لكنه ليس معنيًا بأن يقطف الثمرة، أو يحصد نتاج ما زرع!

بلا شكّ النفس تفرح عندما ترى الحصاد، وتبتهج برؤية لحظة النجاح والانتصار، لكن الدعوات السامية النبيلة تحتاج منا كثيرا أن نتجرد من طلب هذه اللحظة، وألا نستعجل الإتيان بها ونجاهد النفس لأن ترتضي بلذة العمل والعطاء، دون أن تستعجل النتائج.



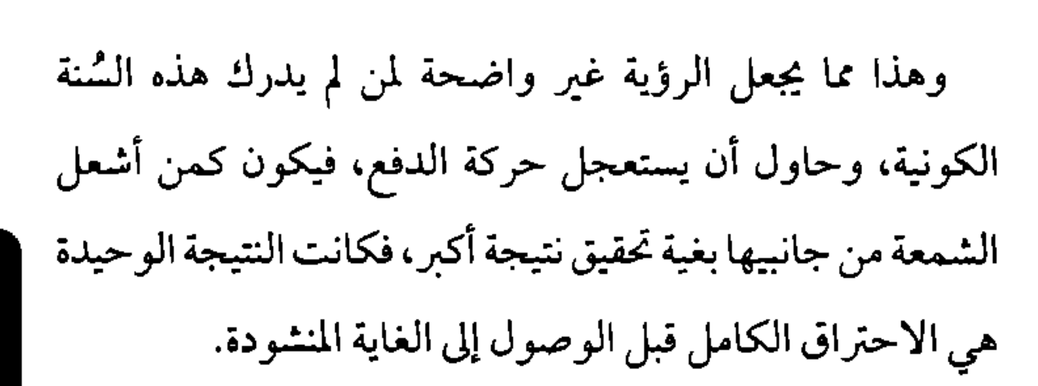
كم شخص آمن به في السنوات العشر الأولى؟

مات النبي ﷺ وحدود رسالته لم تتعدّ -جغرافيا على الأقل- شبه الجزيرة العربية، لكن ما غرسه بتؤدة خلال سنوات رسالته، وربّى عليه أتباعه، جعلنا اليوم لا نرى مكانا على سطح الأرض إلا وترتفع فيه راية الإسلام.

ينبهنا ربنا -سبحانه وتعالى- في سورة الإسراء أن «وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً» عجولا في طلب الرزق، عجولا في طلب النصر، عجولا في تعاطيه مع الدنيا بكل ما فيها، وهذا وإن كان صفة في سلوكنا، إلا أنه عيب خطير يجب أن نحاربه ونتغلب عليه، خصوصا فيما يخصّ دعوتنا أو مشروعنا الذي تبنيناه.

يجب أن يدرك صاحب الرسالة أنه من سنن الله سبحانه وتعالى في الأرض أن التحول في الظواهر الاجتماعية يتم ببطء شديد، والتغيير في الناس والمجتمع أمر لا يتم بيسر، وربما يحتاج لعقود.

بينما عُمر المرء منا قصير إذا ما قيس بعمر الحضارات، مما يجعله لا يرى مرحلة التغيير كلها بعينيه، فربما رأى الإرهاصات، أو التفاعل، أو الحركة، أو التغيير.. ربما عاصر الأسباب دون أن يرى النتائج، وربما رأى النتائج دون أن يتفاعل مع المُقدّمات..



وهذا مما يجعل الرؤية غير واضحة لمن لم يدرك هذه السُنة الكونية، وحاول أن يستعجل حركة الدفع، فيكون كمن أشعل الشمعة من جانبيها بغية تحقيق نتيجة أكبر، فكانت النتيجة الوحيدة هي الاحتراق الكامل قبل الوصول إلى الغاية المنشودة.

لقد ضاق أحد أصحاب النبي ﷺ بالأذى الشديد من كفار قريش، آلمه أن يرى أصحابه وقد عُذّبوا وقُتلوا.

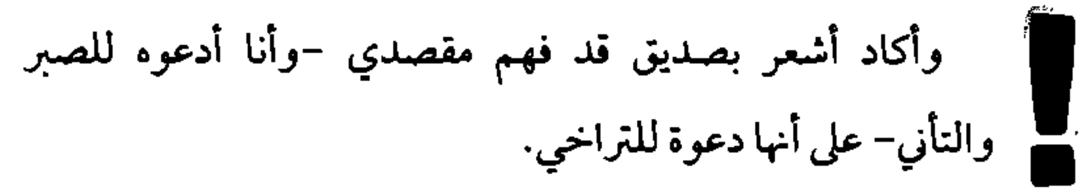
فذهب إلى النبي ﷺ يطالبه بأن يلتجئ إلى الله بدعاء يتعجل فيه النصر، ففي الحديث أن خباب بن الأرت ذهب يوما إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال له:

«أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ فقَالَ له ﷺ : كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِى الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ.. وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

انظر لخاتمة الحديث العبقري.. "ولكنكم تستعجلون".

إن من يضعون أمام أعينهم الغاية الكبيرة، يتحملون البدايات البسيطة المرهقة مستمدين من عظم مطالبهم عوناً لهم على ذلك.

هذا هو مربط الفرس، وعليه يجب أن يدرك أصحاب القضايا العظيمة أن الرهان على أن الوقت في صالحهم أمر جوهري؛ وذلك لأن أصحاب المعسكرات الأخرى يغلب عليهم الميل إلى قطف الثمرة، وتقسيم الغنيمة وتذوّق الحصاد، وأمام هذا السلوك يكون صبرنا وتأنينا وبذل الجهد المستمر دون كلل أو تململ هو الفاصل في المعركة.



وأكاد أشعر بصديق قد فهم مقصدي -وأنا أدعوه للصبر والتأني- على أنها دعوة للتراخي.



لا يا صاحبي، بل على العكس علينا مراجعة أنفسنا أولا بأول؛ للتأكد من أننا نسير بالشكل الأمثل، وبالسرعة المناسبة للمرحلة، لكنني أحب أن أنوّه وبشدة على أن سنة الله في الكون أن النصر يناله الصابر المُحتسب خصوصا عندما يتعلق الأمر بغاية سامية عظيمة تحتاج إلى وقت غير قليل لتأكيدها وغرسها في أفئدة الناس وعقولهم.



هل يمكن أن تكون القضية التي دفعت من عمري سنين طوالا أدافع عنها ليست بالطهر أو النُبل أو الصفاء الذي ظننته؟!.

أعلم أنه صعب جدا أن يعيد المرء النظر إلى قناعاته الفكرية التي آمن بها سنوات طوالا، لكنها أخف وطأة من الرجفة التي قد تصيبه عندما يرى الكيان العظيم الذي دافع عنه بقوة وعنف في السابق وقد أصبح في عينيه.. قزما صغيرا.

من أن تحدث الردة.. ويُصبح الجندي الهُمام الذي طالما سهر على حماية المُعسكر، هو نفسه من يُطلق عليه القذائف، ويُمطره بكل ما لديه من كلمات، وعبارات، ونقد لاذع قاسٍ.

وقولي بـ «راجع قناعاتك»، أقصد به التأمل في أفكارك بعدما تجددت في عقلك بمرور الوقت معطيات جديدة، ربما تعطيك قدرا أكبر من التميز والتمحيص، خصوصا أننا وبمرور الوقت ومع تعصبنا الشديد لأفكارنا نخلط كثيرا بين قيمنا ومبادئنا من

جهة وبين جملة الاجتهادات والتنظير والأفكار التي نضيفها لدعم هذا المبدأ من جهة أخرى، فنرفع الاجتهاد إلى مرحلة التقديس، ويصير جزءا من القيمة برغم كونه اجتهادا قد يثبت عدم جدواه بعد فترة.

لذا أنصح دائما أن يراجع المرء منا قناعاته وأفكاره؛ لأن هذه المراجعة - حتى وإن رآها البعض تشكيكا في إيمانهم بالمشروع - تُعد عاملا مهما في تبصرته بعدة أمور؛ منها:

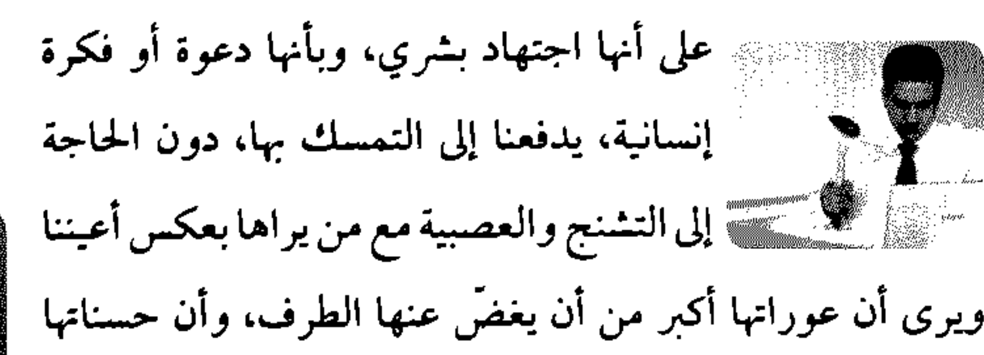
أولا: زيادة الإيمان بالفكرة:

لا شك في أن المرء عندما يُعيد التفكير في الفكرة التي آمن بها، فإنه سيدفع عقله إلى التفكير فيها، والنظر بدقة إلى حسناتها، والوقوف بتأمل أمام ما لا يستسيغه فيها أو لا يفهمه من مبادئها أو أيديولوجياتها، سيعمد إلى ترسيخها بداخله من باب العقل وليس العاطفة فقط، وهذا كفيل بأن يجعله متوحدا معها بشكل كامل.

إن من يردد فاهما يختلف عمن يردد حافظا، ومن يؤمن ببصره ليس كمن يؤمن ببصيرته.

ثانيا: تخفيض مستوى التعصب:

عندما نؤمن بقضية بعاطفتنا فقط، ولا نُعيد النظر فيها بالتفكير والتأمل نكون أكثر عصبية في الدفاع عنها، مما يتسبب في الإضرار بها، بينما النظر إليها



على أنها اجتهاد بشري، وبأنها دعوة أو فكرة إنسانية، يدفعنا إلى التمسك بها، دون الحاجة إلى التشنج والعصبية مع من يراها بعكس أعيننا ويرى أن عوراتها أكبر من أن يغضّ عنها الطرف، وأن حسناتها أصغر من أن يجتمع عليها القوم.

في الغالب يأتي التعصب من الجهل، من انغلاق الذهن وغياب الرؤية الناقدة الشاملة لما حولنا من الأمور، والتعامل مع الاجتهادات الإنسانية على أنها ثوابت لا تقبل النقاش ولا التشكيك.

ثالثا: المراجعات تعيد ترتيب ذهنك

راجعت الجماعة الإسلامية في مصر نفسها فصححت مسارها واعتذرت عن استخدام العنف في بعض فتراتها، راجع كل من الأستاذ محمد عمارة والمستشار طارق البشري قناعاتهم، فتحولوا من مفكرين بارزين يساريين، إلى مفكرين إسلاميين بارزين أيضا ومؤثرين كذلك.

البعض - مع الأسف الشديد - يخاف من العقل، يرهب أن يُعمل العقل بكامل طاقته في التفكير والتحليل؛ خشية أن يجرّ عليه ما لا تُحمد عُقباه، رُغم أن العظماء الحقيقيين يملكون في غالب

إن رأيك ليس هو الحق، إنه - إن أصاب - وجها من وجوه الحقيقة، وجانب من جوانب الحق.

الأحيان المقدرة على مراجعة الثوابت، إلا أن غالب الناس تحب أن تختار وتتبنى ما يتوافق مع راحتهم القريبة، ويسدّون الباب أمام أي توتر فكري أو ذهني.



وهنا لا بد من الاستماع بإنصات إلى هذا السؤال!

هل يمكن للمرء أن يراجع فكرة نبيلة سامية؟

هل يُعقل أن يتساءل المرء هل العدل أو الكرامة أو نُصرة الدين أشياء نستحق أن نؤمن بها أم لا؟!

وأجيب.. القيم العظيمة لا يمكن لأحد أن يختلف عليها، ولكن ما يحتاج إلى إعادة نظر هو خطط العمل، الوسائل، الاجتهادات البشرية.

مراجعةٌ تفيد دعوتنا، وتُثريها، وتُنعش روحها..

فوق هذا هناك لبس خطير يحدث لنا، وهو أن نسبغ على الرأي، أو الاجتهاد قدسية القيم والمعتقدات، فأرفض المساس بها، أو نقدها، أو وضعها على طاولة النقد والاختلاف.

والمراجعة تفيدنا هنا، فنغربل الأفكار والمعتقدات والاجتهادات، ونضع كُلا في مكانه الصحيح.

وهذا -صدقني- سيصب أولاً وأخيراً في مصلحة المشروع، ويزيد من نضجه.



10 لا تبعثر مجهودك

مهما كنت قويا، وفعالا، إلا أنه لا يوجد شيء يفوق قوة وفعالية العمل الجماعي المُنظم، والذي يجتمع بداخله ما تفرّق من المجهودات الفردية المُبعثرة.

العمل الجماعي ربما يكون ضاغطا علينا في بعض الأوقات، يُجبرنا على الإتيان بمهام معينة، ويدفعنا إلى الالتزام بها، وربما قتل فينا شيئا من حب الظهور، لكنه - إن كنا صادقين في دوافعنا - الطريق الأقصر، والأكثر فعالية للوصول إلى أهدافنا العظيمة.

الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يؤكد أن «كدر الجماعة خير من صفو المرء»؛ وذلك لأن الكدر ما يلبث أن ينتهي مع ما للجماعة من تعهّد ونصح بين أفرادها يسمح لهم بالعودة إلى الطريق الصحيح، بينما المرء وإن كان نشطا يقظا في وقت ما إلا أن الفتور والكدر والزلل ليسوا بعيدين عنه، ولقد نبهنا نبينا ﷺ في الحديث الذي حسّنه الألباني إلى أن **«عليك بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»**؛ فهو توجيه نبوي عميق كي نجمع

مجهودنا ونوحده ونتعاضد سويا ونتآلف؛ كي نعصم أنفسنا من خلل الفتور والزلل والخطأ.

إن أصحاب الرسالات العظيمة يدركون دائما أن تحقيق الهدف لا يتأتى بشكل فردي؛ وذلك لأن متطلبات النجاح تستدعي مجموعة من المقومات التي لا تتوفر في شخص واحد مهما كانت عظمته أو قوته، والناظر إلى الرسالات الإبراهيمية الثلاثة سيرى بوضوح أن حملتها من الأنبياء كانوا حريصين على أن يكون لهم جماعة يحملون معهم الرسالة ويتعاونون من أجل تبليغها ونشرها.

فهذا موسى عليه السلام، يدعو الله - جل اسمه - أن يشدّ أزره بأخيه هارون، كي يدعمه في المواجهة الحاسمة والمهمة مع فرعون بقوله:

قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾

سورة طه

وهذا عيسى عليه السلام اصطفى حواريين يتعلمون منه مبادئ دعوته ورسالته ويبلغونها للناس، بل ويهبّون إلى دعمه وقت الشعور باضطراب الأجواء من حوله:

فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾

سورة آل عمران

وهذا خير الأنبياء وأعظم البشر، وهبه الله سبحانه وتعالى أتباعا أوفياء مخلصين، وجيلا من خير الأجيال التي مرّت على الأرض حملوا أعباء الرسالة معه.. وبعده.

إنها سُنة كونية لا يمكن مخالفتها مهما كان المرء منا ذكيا أو قويا أو مؤثرا، يقول الشاعر لافتا الانتباه إلى هذه السُنّة بقوله:

النمل تبني قراها في تماسكها

والنحل تجني رحيق الشهد أعوانا

إن كثيرا من علماء الإسلام ذهبوا إلى وجوب العمل الإسلامي المُنظّم، وأنه يجب أن تكون هناك جماعة قائمة تدعو إلى دين الله وتذبّ عنه ما قد يلحق به من أذى، مصداقا لقول الله تعالى:

وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

سورة آل عمران



إن العمل الجماعي صار منهجا متكاملا وعلما من علوم الإدارة التي تُدرّس في كل جامعات العالم، سواء في القطاع المؤسسي الربحي أو القطاع الدعوي اللاربحي؛ حيث يؤكد ستفن كوفي - أحد أكبر وأهم علماء الإدارة في العالم - أنه قد تتبع الناجحين

في الحياة، ووضعهم تحت عدسة الفحص والتأمل لسنوات طوال، حتى فطن إلى أن هناك صفات يتشابه فيها كل العظماء والناجحين؛ أحدها قدرتهم على الاشتراك مع غيرهم من أجل تحقيق نجاح مميز غير عادي.

وأكد في كتابه المُعنون بـ «العادات السبع للناس الأكثر فعالية» أن التكاتف والتعاون مع الآخرين يعطينا ميزة مهمة ألا وهي:

> إنتاج رؤية وتصور ثالث ليس فقط رأيي ورأيك، ليس فقط عقلي وعقلك، ليس فقط مجهودي ومجهودك، وإنما هناك رأي ثالث، وعقل ثالث، وجهد ثالث أفضل من عقل أو رأي أو جهد كل منا بمفرده.

ويؤكد كوفي على أننا حينما نتعاون فسوف نتخطى المعادلة المنطقية:

1 + 1 =2 إلى 1 + 1 = 3 أو ربما أكثر!.

مؤكدا أن التعاون الإبداعي الخلاق من شأنه أن يُنتج إنتاجا أكثر، ويقلل في الوقت ذاته من نسبة الخطأ والزلل.

هناك بالطبع استثناء لهذه القاعدة، هناك من يضيق بطوق الجماعة، يجد راحته في التحليق وحيدا، فينفع وينتج وهو وحده، ويتذمر ويقل عطاؤه وهو في الصف، أو ربما وجد أن الأفضل له أن يكون على مسافة واحدة من الجميع دون أن يُحسب على فصيل أو كيان بعينه، لكنه الاستثناء الذي يؤكد القاعدة ولا يدحضها، فالأصل هو التعاون والتعاضد والجماعة.



11 انسجم مع الدور المحدد

خلقنا الله سبحانه وتعالى بقدرات متفاوتة، ومواهب مختلفة وذكاء ووعي ورؤية ليست واحدة، كان الهدف منه إثراء الحياة وإذكاء لروح التدافع الذي لا يتم صلاح الأرض إلا به، وصار هناك تكامل بين شركاء الأرض، وصار كل منهم يضطلع بعمل لا يستغني عنه الآخر..

أصحاب القضايا العظيمة النبيلة يحتاجون إلى وعي بدورهم المحدد في خدمة القضية، ولا يتجاوزونه إلى غيره، فإذا ما كان دورك في القيادة وجب عليك ألا تتأخر عن القيام بمهمتك دون أي تردد أو تهاون، بل سيصبح إحجامك عن ارتداء لباس القيادة تهاونا وتخاذلا منك تجاه قضيتك.

وإذا ما كان دورك ومهمتك في أن تحرس، أو تسقي، أو تراقب... فعليك أن تكون جنديا يقظا هماما، دونما تململ ولا استهتار ولا استقلال بالدور الذي قد حُدد لك.

إن المؤمن بقضيته ودعوته يستوي عنده موقع القيادة مع موقع الجندية، ما دام وجوده في أي مكان يصبّ في صالح دعوته وفكرته، يتجرد تماما من حُب الظهور، والشغف بالرياسة، أو التطلع لأن يكون على رأس الهرم بغضّ النظر عن قدراته ومقوماته.

ولقد أثنى النبي ﷺ على الشخص المُنضبط، الراضي بدوره في خدمة قضيته دونما تذمر قائلا:

«طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن في الساقة كان في الساقة، وإن كان في الحراسة كان في الحراسة».

إن المرء منا يا أصدقائي قد يتقن شيئا ويُخفق في أشياء، فيصبح من تمام الفطنة والذكاء أن ينتبه للشيء الذي يتقنه ويهتم به، ويترك ما لا يجيده لغيره ولقد رد النبي ﷺ الصحابي الجليل أبا ذر الغفاري حينما طالبه بأن يوليه على إمارة من إمارات المسلمين؛ وذلك لأنه رجل رقيق القلب، ذو نزعة للتقشف ربما تُريحه على المستوى الشخصي، لكنها قد تُرهق الجماعة إذا ما طبق ما يتلاءم مع وضعه الفردي على الوضع العام، ففي الحديث الذي رواه مسلم:

«عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟

قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها».

هذا بالرغم من ثناء النبي عليه سابقا، والتأكيد على فضله في خدمة الدعوة؛ ففي الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أقلّت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق من أبي ذر»[1].

ولذا لم يغضب أبو ذر، بل أدرك أن دوره في خدمة القضية ليس مكانه كرسي الإمارة، فيمم وجهه شطر غاية أخرى، وأفنى حياته في العبادة والزهد والتقشف ودعوة الناس إلى التجرد لله ولدينه.

ولله در الإمام الفقيه سفيان بن عيينة، وهو يثني على أحد زهاد الإسلام ويخالفه في الوقت ذاته في بعض الأمور الفقهية بقوله:

«رحم الله إبراهيم بن أدهم، قد يكون الرجل عالما بالله ليس يفقه أمر الله»، وما العيب أن تكون عابدا، زاهدا دون أن تكون فقيها عالما؟

 فلا أحد يملك زمام المواهب جلّها إلا ما ندر.

مثال آخر مهم جدا ويدل على أن العظماء لا يتأففون من أن ينزلوا في أي مكان تضعهم فيه دعوتهم العظيمة، وقضاياهم النبيلة.

فهذا خالد بن الوليد الذي عُزل عن إمارة الجيش، وهو القائد

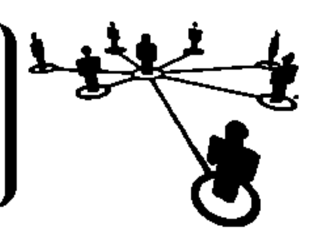
(1) رواه أحمد وابن ماجه وغيرهما وقال الألباني: صحيح

المظفر، عمل تحت قيادة أبي عبيدة دون تململ ولا تذمر، وكان نعم المشير والمعين.

ولقد أعطانا عمر بن الخطاب لمحة رائعة حينها جاءه رسول معركة نهاوند يقول له: يا أمير المؤمنين، مات خلقٌ كثير أنت لا تعرفهم، فبكى بن الخطاب وقال: وما ضرّهم أنّي لا أعرفهم إذا كان الله يعرفهم!.

بما يعني أن الجنود الذين تغفل كتب التاريخ عن ذكر أسمائهم، وينساهم الناس، الله يحفظ لهم جميل صنعهم، ويعرفهم بأسمائهم، ويحفظ لهم تضحياتهم وما قدّموه لدعوتهم.

لذا وجب التنويه -صاحبي العظيم- إلى أن دورك في خدمة الصف قد يكون على ظهر الفرس فارسا، وقد يكون على الأرض مترجلا، قد يكون على المنبر أو أمامَ شاشات التلفاز، وقد يكون في الخفاء عندما يغفل الناس.



فاعرف لنفسك مكانها، وحيثما كنت فكن رجلا، واحذر أن تؤتى دعوتك من قِبلك.



12 التفكير الناقد

عين العظيم لا يجب أن تتلون بعدسة العاطفة.

لا يجب أن يسمح لعواطفه بأن يكون لها الغلبة في بناء الرأي وتحديد الاتجاه، وتقرير المصير..

صاحب القضية امرؤ يدرك جيدا أن تقييم الأمور يجب أن يخضع لأسس العقل والمنطق، وأن العين الناقدة هي إحدى الأدوات المهمة كي نستطيع التمييز والغربلة والتقييم.

هناك أدبيات يجب أن تحتل مكانة بارزة في عقل صاحب الرسالة، ويمضي وفقها دون الوقوع في منزلق العاطفة والتحيز الأعمى.

أحد أهم هذه الأدبيات هو التفكير الناقد، والذي يقوم على التمهل جيدا قبل إعطاء الأحكام، والتحقق من الشيء وتقييمه بوعي كامل قبل إصدار قرار تجاهه.

وهو نوع من التأمل والإنصاف الذي قد يدفع المرء منا في

أوقات ما إلى تبني الحقيقة حتى لو خالفت ما نؤمن به، ما دام العقل والمنطق والحقيقة قد ذهبت إليها وأكدتها.

وفي الحقيقة أن التفكير الناقد ليس مصطلحا عابراً، إنه نوع من الذكاء المركب، الذي انشغل الباحثون في تعريفه وتفسيره، والبحث عن طرق تنميته ومما أكدوا عليه أن مهارات التفكير الناقد تتمحور في قدرتك على التأمل والتدبر والتفريق بين الرأي والحقيقة؛ وذلك لأن الإنسان صاحب التفكير الناقد لديه قدرة كبيرة في التفريق بين ما هو رأي يحتمل الصواب والخطأ، وبين الحقيقة التي لا تحتمل اللبس.

مشكلة كثير من الناس في تبنيهم لآراء والدفاع عنها وكأنها حقيقة؛ لمجرد أن صاحبها يحتل مكانة كبيرة أو مميزة، ومع الأسف كثير من العوام يردد آراء على أنها حقائق مؤكدة؛ لمجرد كونها ترددت في وسائل الإعلام أو على ألسنة من يتقنون عرض آرائهم وتدبيجها.



لذا وجب علينا الانتباه والتوقف قبل تبني وتأكيد معلومة أو خبر أو شيء ما.

أيضا من أهم مهارات التفكير الناقد التمحيص في مستوى دقة المعلومة فأسوأ المعلومات وأخطرها تلك التي تحمل بداخلها جزءا من الصدق وأجزاء من الباطل، وأخطر الأكاذيب كذبة بين قوسين من الحقيقة، والتي يسميها

أساتذة الدعاية «الدعاية الرمادية»، فلا هي شر أسود يمكن تمييزه ولا حق أبيض ينير بضيائه، ومع الأسف معظم البشر يمكن أن تنطلي عليهم هذه الخدعة، لذا وجب على صاحب الرسالة ذي الرؤية الناقدة أن يتوقف برهة؛ ليتأكد من دقة العبارة ومصدر المعلومة قبل أن يأخذ بها.

مهم كذلك أن نتوقف عن إصدار رأي أو حكم على أمر لم تتوفر لنا المعلومة الكافية عنه، وذلك كي يكون موقفنا سليما ورأينا صائبا.



ولقد بيّن العلماء أن ثمة معايير مهمة يجب أن نأخذ بها عند الاستدلال والتمحيص ومعالجة الأمور وهي:

1 وضوح العبارة أو الخبر:

أهم معيار من معايير التفكير الناقد؛ لأن العبارة إذا لم تكن واضحة فلن نستطيع فهمها بالشكل الصحيح، مما يترتب عليه بناء توجّه أو فكر أو قناعة خاطئة.

ولذلك تغلب على لسان الشخصية صاحبة التفكير الناقد عبارات مثل: «هل يمكنك التوضيح أكثر؟ - هل أفهم مما قلته كذا



وكذا؟ - أتعني بالتحديد كذا؟...»، بدلا من الاندفاع في التعاطي مع ما قاله مع ما قد يحتويه من لبس وعدم فهم.

2 صحة العبارة أو الخبر:



ينبغي أن تكون العبارة صحيحة وموثقة، فبعد أن اتضحت العبارة يجب أن نبحث خلف مصداقيتها ومدى صمودها أمام تيار التأمل والتمحيص والسؤال.

3 الربط:

وأقصد به مدى العلاقة بين المعلومة التي قيلت والسؤال أو الموضوع الذي نتحدث عنه أو نتجادل بشأنه وذلك لأن من حيل المتلاعبين أن يثيروا بعض الغبار في الهواء فتتوه المعالم، ويضطرب المشهد، ويُصدر لك مشكلة الفهم، والرد والتوضيح، لذلك من ذكائك أن تعيد محاورك أو ناقل الخبر أو المعلومة إلى أصل السؤال أو الموضوع، الدقة والتحديد كلاهما مهم جدا لك؛ كي تبني آراء وقناعات واضحة وراسخة.

4 النظر بعمق لجوهر الأمر:

عندما تعالج موضوعا فكريا، يجب أن تغوص إلى أعماقه، وترى الأرضية التي أقيم عليها، فكثير من رفضنا لقناعات وأفكار تأتّت من عدم غوصنا إلى العمق، وتفهّم الأسس التي دفعت قائلها إلى تبنيها والدفاع عنها.





وأقصد به أن تتسع رؤيتك للإلمام بجميع جوانب الموضوع محل النقاش؛ وذلك لأن هناك إرهاصات للقضية قد تأخذك إلى أبعد من شكلها الحالي، وبالتالي إلمامك بالبدايات قد يغيّر من رؤيتك لها، ويُعدّل من نظرتك تجاهها.

6 المنطق:

وهنا مربط الفرس، فبعد أن محّصنا المعلومة، وتأكدنا من دقتها، ونظرنا في الجوانب المتعددة لها، ونظرنا لها بعمق وتأمل جاء دور المنطق والوعي الذي نستند عليه في إصدار حكمنا النهائي والأخير، يجب أن ننظر للكلام أو الأفكار وننظيمها بشكل متسلسل ومنطقي، يؤدي إلى معنى واضح ومعقول.

إن صاحب القضية مُفكّر ناقد للأفكار والقناعات والأيديولوجيات القائمة، حتى يكن لها من المنطق سببا يؤكدها ويرسخ لقوتها، أعيد التأكيد على أنني أتحدث عن الاجتهادات البشرية، والتي تأخذ في كثير من الأحيان صفة العصمة والقدسية مع ما قد يشوبها من خلل أو عوار.



وللمفكر الناقد مجموعة من السمات التي تحكم قراراته

لا يكفي أن تكون في النور لترى، بل يجب أن يكون في النور ما تراه. عباس العقاد.

وحُكمه على الأمور، دعونا ننظر إليها ثم نعيد النظر إلى أنفسنا؛ لنرى مدى قربنا من تلك الشخصية:

أولا، التواضع الفكري:

يؤمن المفكر الناقد بأنه مهما كان خبيرا وعالما بأمر ما إلا أن لقدرته المعرفية حدود، وربما غابت عنه أشياء وأشياء، لذا فهو متواضع أمام ما يُعرض عليه ساعيا للبحث والتأمل والتعلم دون خجل أو تكبر.

مع الأسف بعضنا يناقش ويجادل ويتهم الآخرين بالخطأ لمجرد كونه قريبا قليلا من دائرة المعرفة أو صناعة القرار، ويظن أنه يدري بما يحيط به علم الآخرين، ويأنف من الاستماع والإنصات وهذا مما يعوق من قدرته على بناء قرار أو وجهة نظر صحيحة.

ثانيا، الصمود والشجاعة الفكرية:



خصوصا أمام المعتقدات السابقة، والأفكار الراسخة، والقناعات التي يرى الناس أنها من جملة السنن الكونية، أن يكون لدينا الشجاعة والثبات لمواجهة أي اعتقاد خاطئ دون خوف أو ترقب.



ثالثا، الإنصاف الفكري:

يجب أن تُطبق على نفسك نفس المعايير والأسس التي تطبقها على مُخالفك، وتزن كل الأمور والاجتهادات الفكرية بميزان واحد، سواء جاءت من صديق أو عدو.

رابعا، إعلاء قيمة العقل:

خصوصاً أن العاطفة هي التي تحكم جلّ مواقف مجتمعاتنا دورك يتأتى بأن تجعل العقل هو رمانة الميزان الذي يحكم على الأمور، ويزنها، ويضعها في المكان الذي يليق بها.

ولقد عدد الكاتب والمفكر الأمريكي هارناداك Anita Harnadek في كتابه «التفكير الناقد» بعض صفات أخرى للمفكر الناقد؛ وهي:

- أن يكون متفتح الذهن نحو الأفكار الجديدة وغير المألوفة لديه.
- ألا يجادل في أمر لا يعرف عنه شيئاً.
- أن يعرف متى يحتاج إلى معلومات أكثر عن شيء ما.
- أن يعرف الفرق بين النتيجة التي قد تكون حقيقة والنتيجة التي هي حقيقة.

التعصب شخص ضعيف يحمي فكرة ضعيفة، ذلك أن للأفكار العظيمة قوة تعطي حاملها ارتكازاً نفسياً، وقدرة على قبول المخالف له.

- أن يعرف أن لدى الناس أفكاراً مختلفة نحو معاني الكلمات.
- أن يحاول تجنب الأخطاء الشائعة في تحليل الأمور.
- أن يتساءل عن أي شيء لا يفهمه دون الشعور بأي خجل أو توتر.
- أن يحاول الفصل بين التفكير العاطفي والتفكير المنطقي.

صدّقني يا صاحبي رسالتك تحتاج منك أن تكون يقظاً أكثر من حاجتها إلى أن تكون مغمض العينين.

بعض الديانات والمذاهب والجماعات تُعلّم أتباعها أن «اغمض عينيك واتبعني»، بينما الإسلام يُعلمنا أن نُفتح أعيننا وأذهاننا، وفي القرآن الكريم ما يقارب من 640 آية تحثّ على إعمال العقل والتدبر، ودائما ما يلوم ربنا على عباده بأنهم «ألا يتفكرون».. «ألا يتدبرون»... وعاب على أهل مصر أن أطاعوا فرعون ووصفهم بخفة العقل، وانعدام الرؤية الناقدة بقوله سبحانه وتعالى:

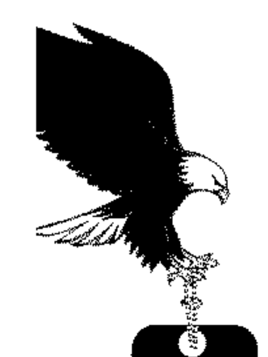
فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ سورة الزخرف

وفي سورة الزمر يثني ربنا على بعض عباده بأنهم :

ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾

سورة الزمر





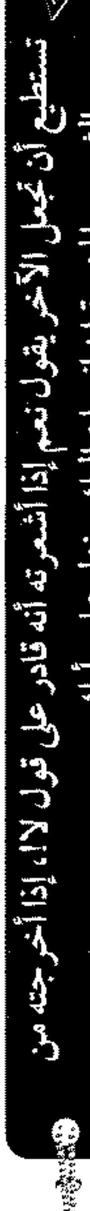
قل لي بالله عليك وكيف أعرف أحسن القول إن لم أعرف شره؟.

وكيف أختار وأقرر أن هذا هو الحسن فأتبعه، إلا إذا كنت أمتلك معايير للنقد والتحليل؟.

لذا كان من بديع تنزيله - سبحانه وتعالى - أن ختم هذه الآية الكريمة بأن هؤلاء هم أولو الألباب، أصحاب العقول المتنبهة والأذهان المتيقظة، والفكر الحر النير.

إننا ننتمي إلى دين يدفع أبناءه إلى الاجتهاد وإعمال العقل، وهو يؤكد لهم أن الخطأ ليس آخر المطاف، بل قد ننال عليه أجر «المجتهد المخطئ» شريطة أن نُعمل عقولنا جيدا، ونتفكر، ونسمح للذهن بأن يُعبر عما أودعه الله فيه من قوة.





13 إقناع الآخر بفكرتك

تسويق الفكرة أكثر صعوبة من تسويق مُنتج ملموس؛ وذلك لأن البشر يختلفون في دوافعهم لتبني الأفكار، فنجد منهم صنفا عاطفيا يحتاج إلى خطاب رقيق مملوء بالعاطفة الجياشة كي يقتنع ويتأثر، **البعض الآخر** يحتاج إلى خطاب عقلاني مُقنع، **صنف ثالث** يميل إلى الاقتناع بما يقتنع به الجمهور أو ما يُعرف بثقافة القطيع **صنف رابع** يميل إلى الاقتناع فقط بالشيء الذي يحقق له مصلحة ما وتحتاج كي تقنعه إلى أن تضرب على وتر المنفعة المتحققة العام منها أو الخاص.

إن فنّ التأثير والإقناع قديم قِدم الأزل، كان يُطلق عليه سابقا «علم البيان» أو «الفصاحة»، وهو الطريقة التي يمكننا من خلالها التأثير على أفكار الآخرين ودوافعهم، وسلوكهم، ولقد صار هذا الأمر اليوم علماً، فمع تعقّد الحياة، وكثرة الرسائل التي يراها ويواجهها الإنسان يوميا، أصبح أمر إقناع الآخرين برسالة دون أخرى أمراً صعبا، ويحتاج إلى أشخاص محترفين.

وفي الحقيقة فإن صاحب الرسالة يجب أن يتعلم الأسس والخطوات العلمية لتوصيل فكرته واضحة وجلية إلى الآخر، بحاجة إلى أن يتعلم الأساليب التي تُسهل من اختراق عقل ووجدان الآخر، وإصابته في المكان الصحيح، يجب على صاحب الرسالة كذلك أن يكون أكثر قدرة على ضبط نفسه، وتطويعها على طول النفَس، والصبر الجميل، والهدوء المتزن وهو يحاول إقناع الآخر بفكرته.

والبشر يا صاحبي تجاه فكرتك ثلاثة أصناف رئيسية:

صنف مؤيد، وآخر معارض، وصنف أخير غير مهتم، وذكاؤك يتأتى بمعرفة محاورك وإلى أي صنف ينتمي، فإذا ما كان من الصنف الأول ظهر ذلك سريعا، وكفاك مؤنة الحديث والإقناع.

أما إذا كان من الصنف الثاني، فيكون الحل الأمثل أن تحاول تحييده ما استطعت لذلك سبيلا؛ أي أن تجعله ينتقل من كونه عليك إلى كونه لا معك ولا عليك، من كونه ينقدك إلى كونه يتوقف عن نقدك.

أما هدفك مع الصنف الثالث (المحايد) فيكون بإقناعه إلى أن يصبح مؤيدا ومتحمسا، ومؤمنا بالفكرة.

نخطئ كثيرا عندما نُحدّث أنفسنا، ونملأ مؤتمراتنا ولقاءاتنا بأتباعنا ومن يؤيدنا، فنفرح بهزّ الرأس، وإيماءة الموافقة، ولا ندرك أننا كمن يضيء مصباحا



والشمس ساطعة؛ وذلك لأن الفكرة أصلا واضحة وجلية في عقول هؤلاء.

نخطئ كذلك عندما نتعامل مع المعارض للفكرة وهدفنا الأول والأخير والوحيد إقناعه بها رغم صعوبة ذلك، فنُصعّب على أنفسنا الأمر، ولا نصل إلى أي فائدة تُذكر.

والذكاء أن أحدد هدفا واقعيا أصل إليه في حواري مع الشخص الذي أودّ إقناعه بالفكرة.

ثم نبدأ بعد ذلك في بعض الخطوات العملية كي نقنعهم بقوة فكرتنا وأصالتها، هذه الخطوات تتلخص فيما يلي:

1. إخلاص النية:

هذه أول وأهم وأخطر الاستراتيجيات؛ وذلك لأننا مع الأسف وعندما نتحاور مع الآخر ننحى بحوارنا إلى شخصنة القضية المثارة، ويصبح أمر إقناعه أو عدم إقناعه مسألة شخصية وهذا أخطر عائق يواجهنا.. إخلاص النية يا صاحبي يدفعك إلى أن تتحمل ما قد لا تتحمله لو كنت تتحدث عن قضية شخصية تمسّك، ستستشعر وأنت تبلع الكلمات أو الشبهات التي يواجهك بها محاورك بنوع من الرضا الروحي؛ نظراً لكونك تصمد وتصبر من أجل قضيتك، ومرضاة لها.

ستبتسم في الوقت الذي تودّ فيه أن تحطم أنفه، تتحدث بهدوء وروية وقد كان باستطاعتك أن تشد أحبالك الصوتية إلى منتهاها، وتزعجه بصوتك العالي، وحديثك المنفعل، إخلاص النية محوار مهم جدا كي تكون أكثر اتزانا، وهدوءا، وقوة.

2. افهم وجهة نظر الآخر:



المحاور الجيد مستمع جيد، وإقناعك للآخر يحتاج منك أولاً أن تفهمه، وتتفهم الدوافع والأسس والحجج التي يؤمن بها، وكذلك الشبهات والحجج التي تجعله يتخذ من قضيتك موقفا مخالفا.

اتركه يتحدث، ولا تصادر حقه في إبداء وجهة نظره أو قناعته الشخصية مهما بدا لك سخفها وسوؤها وهشاشة بنائها العقلي والمنطقي؛ لأنه مع ضعفها أمام منطقك قد تكون صلبة وصلدة في عقل الآخر، والذي - كما قلت سابقا- قد يتعصّب لها من باب العاطفة أو المنفعة.

فهمك لوجهة نظره حتى وإن لم تتقبلها، ينقلك إلى النقطة الثالثة بذكاء.

3. الوقوف على مناطق الالتقاء:

عندما تستمع إليه، ستحدد بدقة شيئين، أولا مناطق الاختلاف والتصادم وثانيا مناطق الالتقاء ونقاط الاتفاق، والتي يمكنك أن تتخذ منها متكأ

للانطلاق إلى إقناعه بما تريد، أو إذابة جبل الجليد بينكما.. إن قدرتك على صياغة خطابك صياغة إيجابية وتنطلق بمحاورك إلى الأمام يخفف كثيرا من حدة الصدام والشقاق.

إننا كثيرا ما نُهمل أن بيننا وبين مخالفينا مناطق الْتقاء وموافقة ونظن أن اختلاف أيديولوجياتنا وقناعاتنا يستتبع اختلافا في كل التفاصيل والرؤى، وهذا ليس بصحيح، بل يمكنك بشيء من التدبير والتأمل أن تقف على نقاط الْتقاء، تقف عليها وتأخذ بيده كي يستمع إلى ما تودّ إسماعه إياه.

4. سلّم له بنقاط القوة لديه:



لا يدفعك الخلاف إلى أن تخالف العقل والمنطق والصواب، إذا ما كان لمحاورك وجهة نظر، أو حُجّة، أو نقاط قوة فالأفضل أن تكون مُنصفا وتُسلم له بصحة ما يقول ووجاهة رؤيته أو تحليله، يساعد هذا كثيرا على إظهارك بمظهر المُنصف العدل، وكذلك يضعه في موقف حرج إذا لم يُسلم هو الآخر بصحة موقفك ووجاهته.

من معالم نضج الشخصية إيمان المرء بأن لقدراته العقلية حدود، وأن تفكيره ومنطقه وذكاؤه قد لا يستطيعون مديد العون له في بعض الأوقات الحرجة.

5. قلْ ما يناسب محاورك:

ربما تكون لديك حجج كثيرة مُقنعة، أنت لست بحاجة إلى قولها كلها يمكنك إن أسهبت في ذكر جميع الحجج أن تُغرق من أمامك - سواء كان شخصا أو مجموعة - في بحر من الشواهد والحقائق التي قد تضرّ إذا كثرت عن الحاجة.

اذكر له فقط الشواهد أو الحجج التي تناسب عقل محاورك، وتناسب كذلك الموقف الذي أنت فيه.

6. تأكّد من مصادرك:

لا تأخذك الحماسة لنقل معلومة، أو قول، أو ذكر إحصائية أو خبر أنت لست متأكدا منه، ستكون ضربة قاصمة إذا ثبت عدم دقة استدلالك، لذلك كن دقيقا جدا في مصادرك، ويا حبذا إذا ذكرت مصدر معلوماتك.

7. وختامها ليكن مسكا:

وأنت تختم حديثك حاول أن تلخّص وجهة نظرك، مؤكدا على ما اكتشفته من تقارب في الرؤى والأفكار، لا تدع محاورك حائرا في مغزى كلماتك ومضمون الرسالة التي تودّ إيصالها إليه، بكلمات موجزة وبليغة كرر على مسامعه ما حاولت تبيانه له خلال حوارك معه.





هذه سبعة قواعد رئيسية تلعب دورا كبيرا في إقناع محاورك.

لكنك قبل كل هذا بحاجة إلى أن تقرأ محاورك أو جمهورك جيدا، لتعرف هل هو عاطفي أم عقلاني، متعصب أم منصف ضدك أم محايد؟؟.

خبراء التسويق يلجئون في كثير من الأحيان إلى «أسلوب الخسارة» في التعامل مع عملائهم العاطفيين، يقصدون بذلك إشعار العميل بأن رفضه شراء سلعة ما يسوقونها قد يوقعهم لخسارة مزية ما يتمتعون بها، معتمدين على قاعدة نفسية تقول «لا أحد منا يحب أن يخسر أو يفقد شيئا».

ربما أتردد عندما يتعلق الأمر بربح، لكنني سأكون حريصاً عندما تخبرني بخسارة شيء ما وبإحصائية قاموا بها استطاعوا أن ينتبهوا إلى أن الجمهور الذي ينتبه ويتجاوب مع إعلان يبدا بـ «لا تخسر فرصة العمر» أكثر من الذي يتفاعل مع إعلان يبدأ بـ «اغتنم فرصة العمر»!.

ما أودّ قوله من حديثي في هذه النقطة أن التسويق الناجح لفكرة يحتاج إلى مهارة وذكاء وحِرفة، والنصر في لعبة العقول يكون في الغالب لمن يملك مفاتيحها.

إن أكثر الذين يضمرون للناس العداوة والحقد إنما يصدرون عن خراب داخلي في أنفسهم التي كرهوها واضطهدوها..! خالد محمد خالد



14 كن إيجابيا

التحلي بصفة الإيجابية شيء جوهري لصاحب الرسالة، بل يمكنني الادّعاء بأن الخط الفاصل بين كونك شخصا عاديا وشخصا عظيما يتوقف على مدى تمسّكك أو عدمه بأفعال وسلوك الإيجابيين..

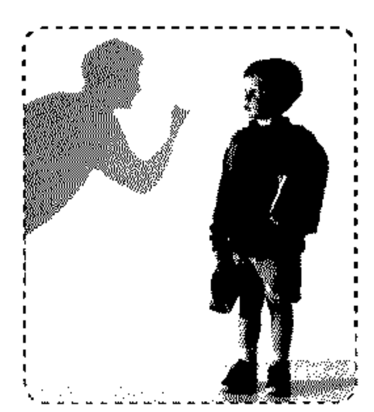
والإيجابية صفة يتم زرعها في الواحد منا منذ صغره عبر والديه، ومدرسيه، والمحيط الذي يعيش فيه، لذلك تستطيع أن ترى بوضوح كيف أن هناك شعبا بأكمله يتمتع بتلك الصفة، بينما شعب آخر يتسم بالسلبية، وهي عكس الإيجابية.

الأمر ببساطة خاص بالصورة الذهنية والانطباع العام الذي كوّنه المرء منا عن نفسه، خلال سنوات عمره الطوال، وعن مخزون الكلمات والأفعال التي تعرّض لها.

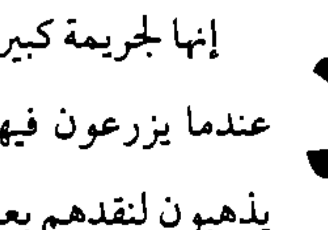
خذ عندك مثلا طفلا يخرج من بيت يؤمن بأحقية الطفل في التجربة والخطأ، ويرى أن أكبر ميزة يمكن تقديمها للطفل هي

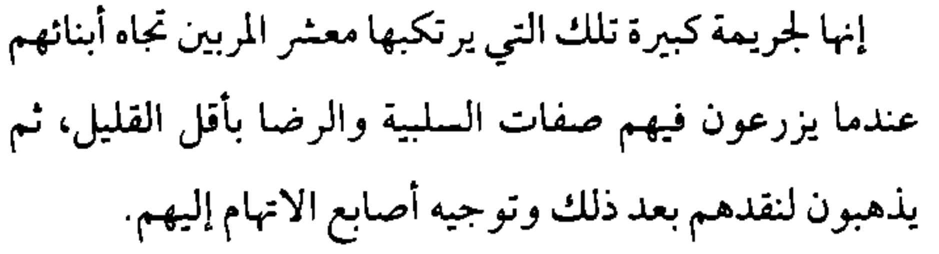
منحة الفرصة تلو الأخرى في سبيل التعبير عن نفسه، واكتشاف مواهبه.

الطفل هنا لا يسمع سوى كلمات التشجيع، والحث الدائم على فعل الشيء الجيد، دون التعرض لشخصيته ولا بنائه النفسي أو الفكري بأي سوء.



يختلف الأمر يقينا بين هذا الطفل، وآخر تربّى على أن الخطأ لا يمرّ دون عقاب، حتى وإن كان خلفه اجتهاد يستحق الشكر والثناء، مما ينمي لديه اتجاها للزهد في التجريب أو إعطاء الاقتراحات الجديدة ومن ثم التفكير بشكل مبدع مختلف، هو يرى أن الطريق الآمن هو الطريق الذي سلكه مَن قبله، وبالتالي يكفيه دائما العيش على هامش الحياة!.





إنها لجريمة كبيرة تلك التي يرتكبها معشر المربين تجاه أبنائهم عندما يزرعون فيهم صفات السلبية والرضا بأقل القليل، ثم يذهبون لنقدهم بعد ذلك وتوجيه أصابع الاتهام إليهم.

هناك ولا شك سؤال قد تبادر إلى ذهنك وهو:

هبْ أنني ولدت لأبوين لم يدركا أهمية شحذ همتي والدفع بي إلى الإجادة وتحسين صفة الإيجابية لديّ، حتى أصبحت أفتقر إلى تلك الصفة المهمة، مما أثر عليّ في حياتي، **أليس هناك حل نستدرك به هذا الخلل؟!.**





الرجل الذي يصر على رؤية الوقائع بوضوح تام قبل اتخاذ القرار لا يتخذ أي قرار... هنري فريدريك أميل

والإجابة: نعم هناك خطوات ونصائح ستأخذ بيدك إلى تمثل تلك الصفة المهمة، دعني أخبرك بأهمها:

فرْقٌ بين ضعف الإرادة وضعف القدرة:

معظمنا إذا ما واجهَنا تحدٍّ ولم نستطع تخطيه لا نوجّه إصبع الاتهام نحو همّتنا وإرادتنا، وإنما نلقي بتبعة هذا على قدراتنا وإمكاناتنا.

فنقول مثلا: «مع الأسف لم أولد غنيا، ولا أملك مالا كافيا» أو: «ليس لي قريب في مركز مرموق في الدولة كهذا أو ذاك»، أو ربما يقول في يأس وقلة حيلة: «لا أستطيع».



نتهم النفس بأنها لم تولد لتكون عظيمة، لم تُخلق لحمل رسالة، لم يودعها الله أي إمكانات مميزة فلا هي بحضور الداعية المشهور، ولا بفصاحة السياسي المُحنك، ولا تملك تخطيط وتنظيم القادة والرواد.

وهذه الحجج في الغالب ليست صحيحة، وقدراتنا في معظم الأحيان بريئة، وإنما الأمر يتعلق بالإرادة والهمة والحماسة.

الشخصية الإيجابية لا تركن إلى الاستسلام بحجة عدم القدرة وإنما تواجه نفسها دائما، وتوقظ همتها إذا ما وجدت لديها ميلا للكسل والدعة.

تخبرك عند الفشل بأنها قصّرت في أداء المطلوب، وأنها ستهتمّ بتدارك الأخطاء لاحقا.

إن غياب الإرادة هو معقد بلاء كثير من الناكصين، وعندما تغيب الإرادة تغيب بدورها الإمكانات، وإلا قل لي بربك كيف أكتشف إمكانات التخطيط والإبداع والعظمة والرؤية السليمة لديّ وأنا لم أتسلح بإرادة تدفعني إلى التنقيب داخل نفسي واستخراج مواهبها؟! .

اخرجْ من دائرة الموقف إلى دائرة التأثير:

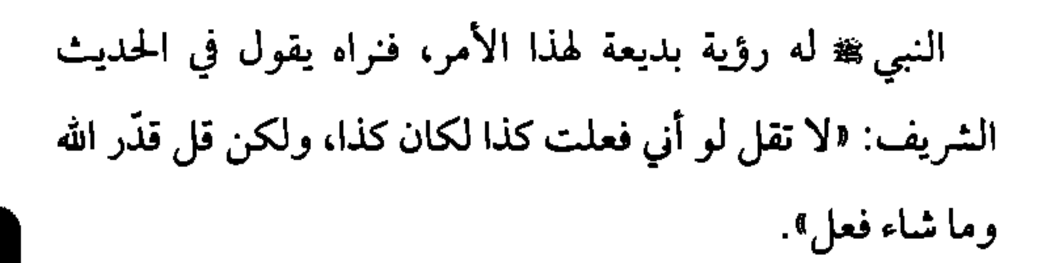
عندما يحدث للمرء منا موقف سيئ، نكون إزاءه أحد شخصين:

إما أن نقف أمام الموقف ونبكي، ونولول، وإما أن نتوجه بسرعة إلى الانتقال لدائرة التأثير، ونبدأ في البحث عن الطريقة المثلى للتغلب على هذا الموقف أو المشكلة.

أو بشكل آخر أنت مخيّر بين أن تفكر من الداخل إلى الخارج، أو من الخارج إلى الداخل!

إما أن تسيطر المشكلة أو الأزمة عليك، وتبدأ في التشعب بداخلك، وإما أن تسيطر أنت على المشكلة، وتقوم بقصّ أطرافها قبل أن تكبر وتصبح أكبر من روحك.





النبي ﷺ له رؤية بديعة لهذا الأمر، فنراه يقول في الحديث الشريف: «**لا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل قدّر الله وما شاء فعل**».

فعندما تقع في مشكلة أو كبوة تخلَّ سريعا عن «لو» التي تدفعك إلى اللوم الدائم، واعبر الكبوة والمشكلة، وابدأ من فورك في استعراض الحلول.

سيطرْ على هوى النفس:

البحث عن الراحة والخمول هو مطلب الجسد، ومعظمنا إذا لم يقاوم ميل نفسه إلى الدعة والكسل كان أبعد ما يكون عن المبادرة والإيجابية.

كما أن النفوس قد يصيبها الشطط والجنوح فتطلب ما حرّم الله أو ما خالف العُرف والقانون، الشخص الإيجابي هنا هو الذي يملك زمام نفسه، ويحصّنها ضد الأهواء والمطامع، ويجبرها على خوض المعارك والصعوبات.

إن معظم من خسروا في معارك الحياة، كانت خسارتهم أول الأمر ذاتية، فتعثرهم أمام شهوة أو مطلب غير مشروع أخرجهم عن جادة طريق العظمة والرقي، وأخذهم إلى دوامة الفشل والكبوات الدائمة.

لا يمكن لحياتك أن تصبح عظيمة ما لم يكن تركيزك موجهاً تجاه هدف عظيم، هؤلاء الذين يعيشون دون انضباط وفاعلية إيجابية. حتى وإن كانوا عباقرة، لن يكونوا شيئاً.

من نافلة القول التأكيد على أن الانتصار على النفس لا يكون على طول الطريق، فكوننا بشرا يجعلنا قد نخطئ كثيرا، لكن العظيم حقا هو الذي يصحح مواقفه دائما، ويستفيد من أخطائه، ويكون عنفوان روحه أكبر من تسلط شهوته.

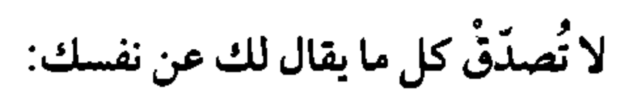
اقرأ نفسك جيدا:

كل شخص منا يمتلك قدرات ومهارات ومواهب، كما أن لديه أيضا عيوبا ومشكلات وثغرات.

الشخص الإيجابي هو الذي يقف على نقاط قوته ويحاول تنميتها دائما ويقف كذلك على عيوبه ويحاول جبر خللها، ومعالجتها.

وقراءة المرء منا لنفسه تحتاج إلى بصيرة، وحكمة، وهاتان الصفتان يمكن للمرء تنميتهما من خلال القراءة والجلوس بين يدي المحنكين أصحاب الخبرة والحكمة، والسماح للآخر - ممن نثق برأيه - في نقدنا وقول رأيه فينا.

أعود لأؤكد أن الشخصية العظيمة هي شخصية إيجابية قادرة على معرفة نفسها جيدا، ورؤية نقاط القوة والوثوق بها، ومعالجة الخلل والعيوب في شخصيتها بشكل دائم.



لا تُصدّقْ كل ما يقال لك عن نفسك:

الشخصية الإيجابية تقبل النقد، وتنظر بتأمل بداخلها إذا ما نبهها أحد إلى خلل أو عيب فيها، لكن هذا لا يعني أنها مزعزعة الوجدان، أو رخوة الثبات.

ومن خلال نظرة متأملة نرى أن كثيرا من السلبيين كوّنوا سلبيتهم من خلال تصديقهم لما يقال لهم عن أنفسهم، وأيضا كثير من المعتدّين برأيهم وصلوا إلى هذه الصورة من خلال الثناء المبالغ فيه.

إن الشخص العظيم لا يمل الجلوس مع نفسه بين فترة وأخرى فينظر إليها نظرة شاملة متفحصة، كي يقف على الأبعاد الحقيقية لشخصيته، بعيدا عن رؤية الآخرين له.

أدِرْ بذكاءٍ أصولك الثابتة:

الجميع لديه 24 ساعة في اليوم، وكلنا - ما عدا أصحاب الإعاقة - نملك يدين وعينين، وقدمين، وعقلا ومشاعر!.

الشخص العظيم ينطلق في الحياة ويتميز من خلال الإدارة الجيدة لوقته، والتعامل الحازم مع مؤهلاته الشخصية، وتوظيفها بشكل جيد سليم، الشخص السلبي لا يرى هذه الأصول، هو

فقط يرى أنه بحاجة إلى رصيد في البنك، وأبٍ غني، وأهل يحتلون مراكز مرموقة في أجهزة الدولة!.

الشخص العظيم يدرك أن الذكاء لا يكفي، والمال لا يكفي، والتاريخ العظيم أيضا لا يكفي.

الشيء الأكثر تأثيرا في التميز - على الصعيدين العام والشخصي - هو مدى ذكائنا في إدارة الأصول الأساسية، مدى قدرتنا في المحافظة على إشراق الروح وانتعاش العقل، والإدارة الصحيحة للوقت، والتعلم الدائم.

بلا شك سنكون متجنّين وغارقين في الوهم إذا قلنا إن الظروف الجيدة لا تصنع فارقا، فمما لا يمكن معارضته أن الوضع الجيد يساعد المرء على صنع التأثير الذي يرجوه بشكل أفضل مما لو كانت ظروفه سيئة، لكن بغضّ النظر عن جميع الظروف التي تواجهنا، فالشخص العظيم يُعرف بأنه لا يستسلم للظروف السيئة، لكنه يستثمر وبنجاح الظروف الجيدة أو المساعدة.

يبذل ما عليه في جميع الأحوال، ويدير إمكاناته بشكل مميز.

افهمْ فلسفة الفشل:

أجبني عن أسئلتي القادمة من فضلك:





إن أشد سجون الحياة قسوة، فكرة بائسة يسجن المرء نفسه بداخلها . مصطفى صادق الرافعي

- أثناء دراستك كم شخص مجتهد ذاكر دروسه وبذل جهده ورسب؟
- كم شخص ممن قابلتهم خطط جيدا وفعل ما عليه من أجل إنجاح مشروعه ومُنِي بخسارة موجعة؟
- كم ممن رأيتهم يبتسمون ويحبون الناس ويتواضعون للجميع، لكنهم مكروهون ولا يحبهم أحد؟!



أسئلة غريبة.. أليس كذلك؟!!

ومنبع غرابتها أنها تتحدث عن معادلة غير منطقية، فمها ألفناه رؤيةً وفهماً أن لكل مجتهد نصيب، وأن من جدّ وجد، وليس من المنطقي أن تكون نهاية المذاكرة رسوبا، ولا نتيجة التخطيط والاجتهاد فشلا ذريعاً، كما أن الشخص صاحب الخلق الحسن والتواضع الجمّ لا يُعقل أن يكرهه الجميع.

لكنني سألتك هذه الأسئلة لأبلغك شيئا مهما وهو أن:

الشخص العظيم يدرك جيدا أن هناك حقائق في الحياة وقوانين وعندما يتعثر في تحقيق نتيجة ما، يبدأ أول ما يبدأ في مراجعة أطراف المعادلة.

فالخسارة تعني أن هناك خطأ وقعت فيه أثناء الإعداد أو

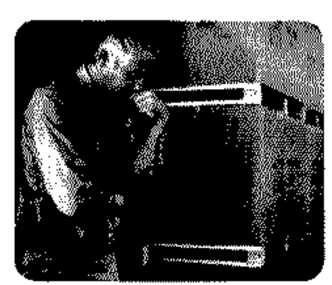
التحضير، والرسوب يعني أن هناك تقصيرا من جانبي، ونفور الناس مني لعله من سوء سلوك مني تجاههم.

فيبدأ من فوره في تصحيح الأخطاء وتعديل الخلل.

الفشل الحقيقي هو استسلامك للإخفاق، وعدم تعلمك الدرس، وتركك للحكمة التي أرسلها الله لك كي تستفيد منها.

العظيم يقوم من فوره بعد الإخفاق، فيفتش عن الشيء الخطأ الذي ارتكبه ومن ثم يقوم بإصلاحه، قد يكون العيب فيّ أنا، أو ربما في الغير، الشاهد أن هناك خللا وخطأ، والواجب عليه أن يبدأ في البحث عن الحل.

كنْ مستعدا لتحمّل المسئولية دائما:



الإنسان العظيم يتحمّل مسئولية تصرفاته، سواء كانت إيجابية أو سلبية، جيدة أو سيئة، ستجني جائزة أو تستوجب عقابا، الأمر في جميع الأحيان واحد عند الشخص العظيم، وهو اعتراف كامل بالمسئولية والنتائج، والتعهد بمواصلة الجهد إما لقطف المزيد من الإنجازات، أو لتصحيح الخطأ والإخفاق.

السلبيون وحدهم هم من يتهربون من مسئولية أعمالهم، ولا يتحملون نتائجها، ويتهربون من الاعتراف بتقصيرهم أو خطأهم.



وأخيرا يا صديقي فإن الشعور بالمسئولية هو الخطوة الأولى لكل نجاح يمكن أن يجنيه المرء منا في الحياة، فالشخص الذي يتهرب من المسئولية لن يستطيع إصلاح مشكلة أو خلل لا يرى بأنه مسئول عنه أصلا، وسيكون التهرب والتبرير هو السمة الغالبة على جميع انفعالاته، بينما الإيجابي الذي يتحمّل المسئولية يعمل وكأنه يستطيع فرض السيطرة على جميع الظروف المحيطة به، فوق هذا يكافئ ويعاقب نفسه عند الصواب أو الزلل؛ تأكيدا منه على مسئوليته المباشرة عن أفعاله!.

ورسالتك تحتاج منك إلى روح الإيجابية، والتعهد المستمر بالمضي قدما بلا تردد ولا خوف، ورحم الله من قال يوما بأن الأيادي المرتعشة.. لا تقدر على البناء.

العظيم لا يتهافت على الشهرة، بل يهرب منها، لأن في ضوضائها خطراً على سكينة نفسه، وتبتل روحه، وسيادة عقله. خالد محمد خالد.

المنتهى..

وقبل ان نحطّ رحالنا ونفترق يطيب لي التأكيد على امر مهم وهو ان كاتب هذه الكلمات مُجتهد يطمح إلى أن ينال الأجر، كتبت ما اعتقده يقينا، لكنني لا استطيع ان ادّعي فيما اكتب العصمة، كما لا يمكن ان ادّعي في سلوكي التطابق الكامل مع ما قلته، وليس في الأمر تدليس ولا ازدواجية.

إنني أكتب ما أكتبه قاصداً نفسي أولاً، ومحاولا دفعها إلى سلوك الطريق القويم، أدفعها دفعا لأن تنال أجر النُصح، وأرهبها في أوقات كثيرة من أن تدل الناس على الخير، وتدفعهم إليه، وتتقاعس هي عن المُضي نحوه.

لو شئت الصدق مع نفسي لاحتفظت بكل حرف كتبته في صدري، أعود إليه لأذكر تلك النفس التي تأمرني كثيرا بالتقاعس والراحة، فألهب حماستها كي تُستفز فتنطلق..

لكنني احببت -مدفوعا بالطمع في ترك اثر جميل في الدنيا- ان اشاطرك هذه الكلمات، فربّ مُبلغ يكون أوعى من سامع.

أكرر يا صديقي بأنني أكثر البشر حاجة إلى تلك الكلمات لكنني أدفعها إليك ومعها وصية!، بألا تحرمني حين تدنو من غايتك النبيلة من دعاء بالأجر والمغفرة، وبعدهما دعاء حار بأن نلحقك جميعا - كاتب الكلمات وقارئها - عند القمة..



باحث في مجال العلوم الإنسانية، وكاتب ومُحاضر في مجال تنمية وتطوير الشخصية والعلاقات الأسرية.

له ما يقرب من 15 كتاب مطبوع،احتل معظمها قوائم الكتب الأكثر مبيعا في معارض الكتاب العربية، وتُرجمت بعضها إلى لغات غير العربية مثل الفرنسية الإندونيسية، الماليزية، الكردية، ومتوفرة جميعها بلغة «برايل» للمكفوفين.

أعد وقدم برامج إذاعية وتلفزيونية على العديد من المحطات والإذاعات، وظهر كضيف على مُعظم القنوات العربية متحدثاً عن كتبه وأفكاره.

حاضر وتكلم في جميع الجامعات المصرية، وبعض الجامعات والمنتديات العربية.

ولد في محافظة الدقهلية في نوفمبر 1978 حصل على بكالوريوس الإعلام من جامعة القاهرة، متزوج وله من الأبناء مهند ومعتز.



يؤمن بأن الحياة لا تُعاش سوى مرة واحدة، وأن الأخطاء التي نرتكبها جزء أصيل من تلك الحياة، والتوبة والندم وتصحيح وتقويم النفس هما طوق النجاة الذي يلقيه الله لعبادة ليتخطوا به لحظات الضعف والانكسار.

قالو عن الكاتب ..

كاتب عمود من الطراز الفريد.. د. أحمد درويش وزير التنمية الإدارية.

قادر على اكتساب ثقة الجمهور الأصعب وهم الشباب .. اللواء سمير سلام .. محافظ الدقهلية .

هناك مؤلفون ضيعوا سنوات من عمرهم يقرأون ويستخلصون من أمهات الكتب أفكاراً رأوا أنها تفيدهم في حياتهم.. وفكروا أن ينقلوها إلي الآخرين فطبعوها.. ومنهم.. كريم الشاذلي.. محمد الشرقاوي ـ نائب أول رئيس تحرير جريدة الجمهورية.

يقدم أفكاره بأسلوب فصيح جزل وممتع في نفس الوقت . أشرف توفيق ـ جريدة الدستور.



هل أعجبك هذا الكتاب؟!

إن كانت لك ملاحظة على هذا الكتاب، فأطمع منك
يا صديقي أن تخبرني برأيك عن طريق:


www.facebook.com/karem.alshazley


www.twitter.com/#!/karim_alshazley


im@karimalshazley.com


www.karimalshazley.com


www.youtube.com/user/darajial

تنمية ذاتية

علاقات أسرية

لمعرفة نقاط التوزيع والمعارض المتوفر بها الكتاب وكيفية حصولك عليها يمكنكم زيارة الموقع الشخصي للكاتب، أو موقع دار أجيال للنشر والتوزيع



www.ibtesama.com
عش عظيما
بحثا عن عظيم
إن العظماء الحقيقيون لم يدر بخلدهم أبدا أن يكونوا عظماء، إنهم يؤدون دورهم المحدد في خدمة قضاياهم العظيمة، لا يبتغون شرفا ولا رفعة، لا يبحثون عن الأضواء ولا التصفيق والتهليل، إن أعينهم دائما متعلقة بالهدف الكبير، بالغاية السامية، يحثون الخطى نحوها، فيصنعون بدأبهم قصة مكتملة الأركان تصبح أسطورة تتلوها الأجيال جيلاً بعد جيل ..
لاسيما وأن الوقوف عن العمل طلباً للثناء أو التصفيق لا ينبغي للعظماء، ولله در من قال منبها : "إن أجهل الناس بالحق من يبتغي الأجر عليه" .
وعليه فإن أجهل الناس بالعظمة من يطلب من الحياة أن ترفع من شأنه وتكتبه عندها عظيما ..!
كريم الشاذلي
karim1924@hotmail.com
دار أجيال
سبعة سنوات
من الإبداع والتميز
إصدار خاص
ISPN 978 - 977 - 6277 - 44 - 1
9 789776 277441
دار أجيال للنشر والتوزيع
محمول : (+2) 01224242437
www.dar-ajial.com
أجيال
AJIAL
www.ibtesama.com


Exclusive
For
www.ibtesama.com